

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

المركز الجامعي -ميلة-



ميدان اللغة والأدب العربي

معهد الآداب واللغات

عنوان المذكرة

الانتماء في الرواية الفلسطينية
رواية " عائد إلى حيفا " لغسان كنفاني
- أنموذجا -

مذكرة تخرج لنيل شهادة ليسانس نظام جديد

تخصص الأدب العربي

إشراف الأستاذة :

غزالة شاقور

إعداد الطلبة:

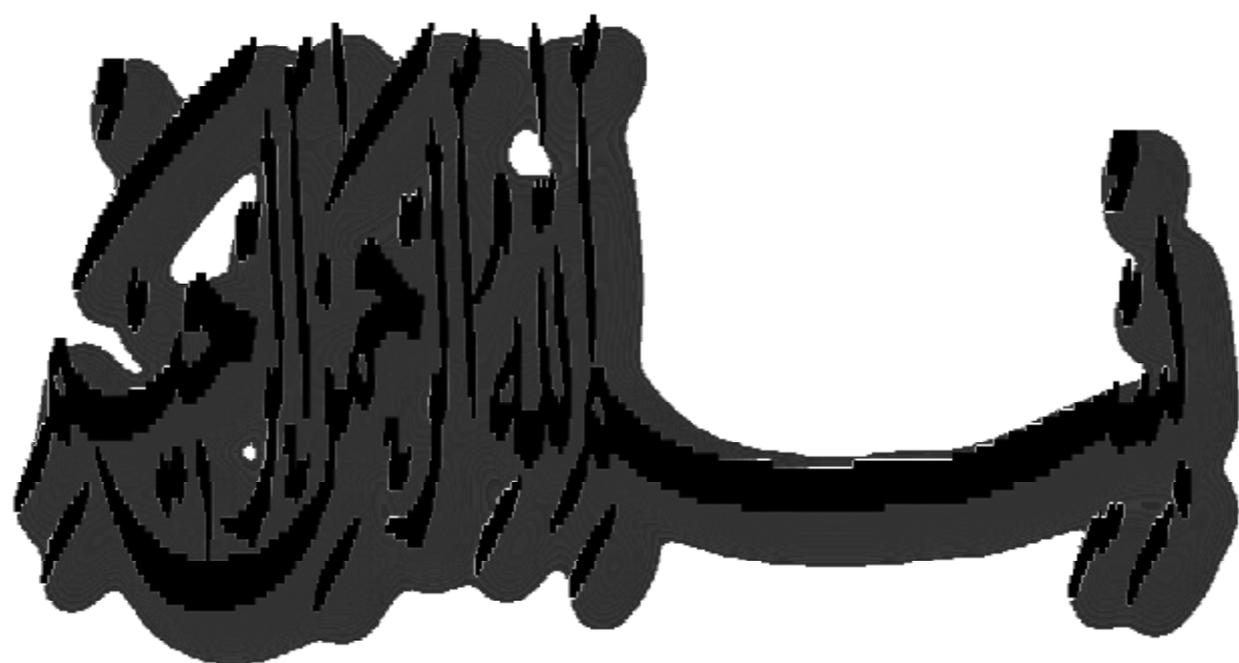
1- أميرة نوري

2- فاطمة الزهراء حليس

3- زليخة بوقويسم

السنة الجامعية

2011/ 2010



أحمد الله ربي القدير العليم ، خالقي
ورازقي نعمة العقل و العلم جل
شأنه و عظمت عظمته ، على نعمه
التي لا تحصى ولا تعد و أصلي
على الحبيب المصطفى الذي أرسل
رحمة للعالمين داعيا إلى طلب
العلم و المعرفة

شكر و تقدير

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي هدانا إلى نور العلم و ميزنا بالعقل
الذي يسير طريقنا ، الحمد لله الذي أعطانا من
موجبات رحمته الإرادة والعزيمة على إتمام عملنا
نحمدك يا رب حمدا يليق بمقامك العظيم .

جرت العادة أن يكون وراء كل إعداد و بحث
أشخاص منهم من يساهم بالنصح و البعض
بالتوجيه و من باب الجميل لأن نتقدم بأخلص
وأسمى عبارات الشكر و التقدير إلى من لم تبخل
علينا بنصائحها القيمة وإرشاداتها الوجيهة ومدّها
يد العون و المساعدة لنا إلى الأستاذة المشرفة
غزالة شاقور .

أميرة ، زليخة ، فاطمة الزهراء .

مَقَامَةٌ

يعد الانتماء من أهم القضايا التي نالت اهتمام الكثير من الأدباء والمفكرين في العصر الحديث ، باعتباره سمة ضرورية يحتاج إليها كل إنسان على وجه الأرض ، وتأتي دراستنا هذه من كونها تتعلق بقضية شغلت ومازالت تشغل بال الباحثين ، ويزيد من أهميتها أيضا كونها تتعلق بقضية قومية يهتز لها كل من يعتز بانتمائه العربي الإسلامي وكل من يحرص على ضرورة استقلال الوطن العربي الفلسطيني ن وقد ضلت هذه القضية محط الكثير من الدراسات الأدبية سواء اكانت عامة أو أكاديمية .

ولهذا الموضوع أبعاد ثلاثة : فلسطين ، الانتماء ، الأدب ، فكان المطلوب هو دراسة القضية الفلسطينية دراسة تاريخية أدبية تتعمد الوقوف عند الأدب الفلسطيني المقاوم ، لذلك اخترنا لهذا العمل عنوان " الانتماء في الرواية الفلسطينية " رواية غسان كنفاني "عايد إلى حيفا" نموذجا .

ومن الأسباب التي دعتنا لاختيار هذا الموضوع ، هو الرغبة الجدية في إظهار مدى تمسك الشعب العربي الفلسطيني بأرضه وهويته ، وتأكيد الثقة بأصالة الانتماء العربي ، وبقدرة العرب عامة والفلسطينيين خاصة على تجاوز الصعاب والأخطار بالرغم من عمليات الطمس والتشويه التي تثير مشاعر واهتمام كل إنسان عربي ، إلى جانب القدرة الفنية التي يتمتع بها غسان كنفاني في التعبير عن المعاناة الفلسطينية ، والتضحية في سبيل ذلك .

أما بالنسبة للمنهج التي اتبعناه في بحثنا هذا ، هو المنهج الوصفي التعليلي - وهو المنهج الملائم - في رأينا لدراسة كهذه ، قصد الوصول إلى العناصر الفكرية والفنية المشكلة لها .

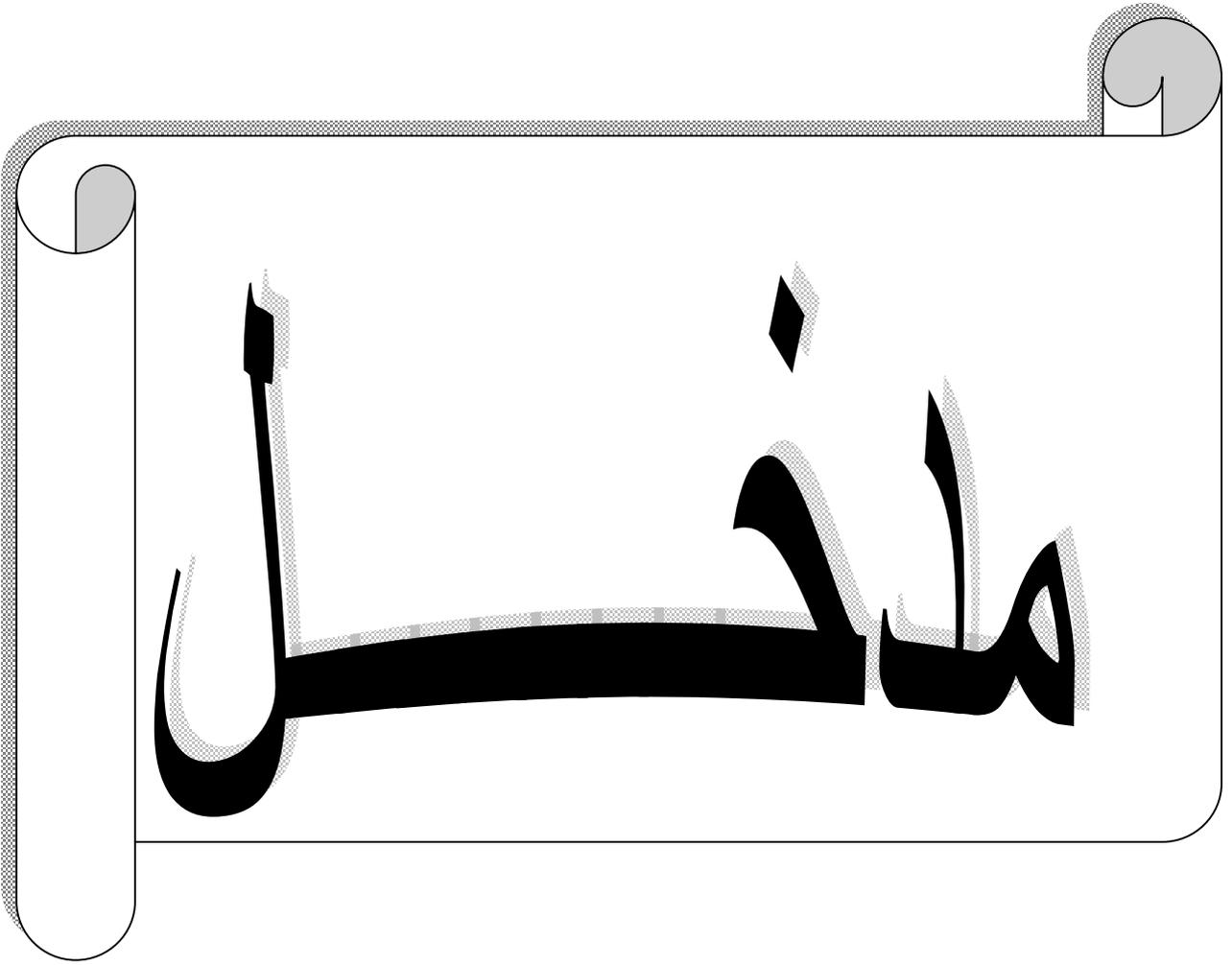
وما ساعدنا على تجاوز مراحل البحث بشيء من اليسر ، توفر مجموعة من الكتب التي تناولت هذا الموضوع ولو من بعيد ، مثل كتاب " الأدب الفلسطيني المقاوم تحت الاحتلال 1948 - 1968 " لـ " غسان كنفاني " ، وكذلك كتاب الإنتماء في الشعر الجاهلي " لفاروق أحمد أسليم".

ولا نتجاوز هذا البحث اعتمادنا خطة كانت بدايتها بمدخل والذي يحمل عنوان الأدب العربي الفلسطيني النشأة والتطور، بدأناه بتمهيد تطرقنا بعده بتعريف الأدب العربي الفلسطيني، واهم مراحل تطوره التاريخية، لنتناول بعدها أهم القضايا التي عالجها الأدب الفلسطيني.

جاء بعدها الفصل الأول والذي اخترنا له عنوان الانتماء المفهوم والماهية ،استهليناه بتمهيد اشرنا بعده إلى المفهوم اللغوي والاصطلاحي للانتماء ، ثم المفاهيم التي أخذها مصطلح الانتماء في العلوم الإنسانية الأخرى ، كعلم الاجتماع ، والفلسفة ، وعلم النفس ، بعد ذلك تطرقنا إلى أهم عناصر ومظاهر الانتماء .

جاء بعدها في الفصل الثاني والذي يقع تحت عنوان " صورة الانتماء في رواية عائد إلى حيفا " بدأناه بتمهيد تطرقنا بعده إلى التعريف بالروائي غسان كنفاني واهم محطات مسيرته الأدبية الكبرى ، ملخصين الرواية ، لنتناول بعدها تحليل الرواية ، بالتركيز على العناصر التالية : الشخصيات ، الفضاء المكاني ، الفضاء الزمني ، الأشياء ، لينتهي البحث بعدها إلى خاتمة ضمت أهم النتائج التي توصلنا إليها من خلال هذا العمل البسيط .

وفي هذا البحث واجهتنا صعوبات وإشكالات والتي نخص بالذكر منها : صعوبة هذه القضية باعتبارها قضية معقدة وغامضة ، فكان لزاما علينا أن نجمع المادة الكثيرة حتى نتضح لنا صورة الأدب الفلسطيني وتاريخه ، وبما أن مكتبتنا حديثة فهي تفتقر للكتب التي تهمننا وتخدم بحثنا ما دفع بنا للانتقال إلى جامعات أخرى قصد الحصول عليها ، وهذا ما استطعنا تحقيقه فان أصبنا فهذا من فضل الله ، وان أخطأنا فابن آدم خطاء.



مدخل : الأدب العربي الفلسطيني النشأة والتطور

تمهيد

- 1- تعريف الأدب العربي الفلسطيني
- 2- مراحل تطور الأدب العربي الفلسطيني
- 3- أهم قضايا الأدب العربي الفلسطيني

تمهيد :

حضيت قضية فلسطين باهتمام كبير خاصة من قبل الأدباء العرب، فقد تتبعوها بدقة وتناولوا جذور المشكلة والصراع، حيث (كانت هذه القضية التي مازلنا نعيش فصولها وآثارها المأساوية، قتلا وقصفا ودمارا وإيادة، منذ 1948م حتى يومنا الحاضر، بل قبل هذا التاريخ هي المحرك الأول للأمم العربية والباعث الرئيسي إلى كل تغيير حصل في شتى أنحاء الأمة العربية).¹

بما أن فلسطين عاشت ومازالت ، تعيش حدثا سياسيا فرض عليها فإنه من الطبيعي أن يؤثر هذا الحدث في حياة الشعب الإجتماعية والأدبية، باعتبار أن الأدباء كانوا في مقدمة من هزتهم فاجعتها، حيث وضعوا أنفسهم في خدمتها فكانت أقلامهم بمثابة مدافع أزعت قوى الإستعمار ، فقد (كان الأدباء أول من دق ناقوس الخطر، ورفع الصوت عاليا مدويا، من اجل أن تستيقظ الأمة العربية على هذا الخطر الجسيم الذي يهدد كيانها وحريتها واستقلالها).²

ولقد كان الشعب الفلسطيني من أكثر الشعوب الأمة العربية إدراكا لأهمية هذا الأدب ودوره في إدارة الصراع مع الأعداء ، كما أدرك أن التشبث بهذا الأدب والتمسك به ، فيه حفاظ على الهوية الوطنية والشخصية الفلسطينية في مواجهة الأعداء الذين ينهبون ثقافتها.

¹ -مفيد محمد قميحة: الاتجاه الإنساني في الشعر العربي المعاصر، دار الأفاق الجديدة ، بيروت ، 1981، ص، 201.

² - المرجع نفسه: ص 206.

1 - تعريف الأدب العربي الفلسطيني:

ارتبط الأدب بالإنسان فالأدب قديم، ترافق مع نشاط الفرد وحاجاته للحكي والقص والخيال ، الذي يسليه ويمتعه ويفيده، وكلمة أدب من الكلمات التي تطور معناها بتطور حياة الأمة العربية، وانتقالها من دور البداوة إلى أدوار المدينة والحضارة، وقد اختلفت عليها معان متقاربة حتى أخذت معناها الذي يتبادر إلى أذهاننا اليوم وهو (الكلام الإنساني البليغ الذي يقصد به إلى التأثير في عواطف القراء والسامعين، سواء أكان شعرا أم نثرا).¹

وما يهمنا في هذا الصدد هو مفهوم الأدب العربي الفلسطيني حيث أن تحديد مصطلح الأدب الفلسطيني، ورسم منهج نوعي لدراسته ليس وليد الساعة ، بل هو قديم ولد في أذهاننا مع بداية الإنتاج الأدبي الفلسطيني والإنتاج العربي المتعلق بفلسطين وقضيتها، وعلى هذا الأساس يمكن القول أن الأدب العربي الفلسطيني هو الأدب الذي أبدعه أبناء الشعب العربي الفلسطيني في فلسطين ومناطق الشتات في الفترة الممتدة من أواخر القرن التاسع عشر ميلادي حتى يومنا هذا.

¹- شوقي ضيف : تاريخ الأدب العربي ، العصر الجاهلي ، دار المعارف، مصر ، 2003 ، ط 24 ، ص ، ص 7.

2- مراحل تطور الأدب العربي الفلسطيني

1- الأدب الفلسطيني قبل 1948:

من المتفق عليه أن القضية الفلسطينية عدت محور القضايا الإسلامية التي تشد إليها رحال شعوب الأمة الإسلامية، على امتداد الأقطار والأزمان، ما دفع بنا إلى الاهتمام بتاريخ وأدب هذه القضية المركزية وبالضبط من سنة 1917م إلى سنة 1948م أي منذ إعلان وعد بلفور الرامي إلى إنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين بمعية بريطانيا حيث (انطلقت جريمة اغتصاب فلسطين إلى واقع التنفيذ من وعد بلفور - وزير الخارجية البريطاني ، اللورد اليهودي ريتشل - عام 1917م زاعما أن فلسطين وطن بلا شعب)¹.

بهذا تمكنت بريطانيا من فتح الأبواب للهجرة اليهودية إلى الأرض المقدسة كل هذه الأحداث فجرت طاقات إبداعية ، أثبتت من خلالها المبدعون الفلسطينيون جدارتهم ، في إيصال كل حدث مرت به فلسطين، فعبروا بالكلمات عن رفضهم لما يفعله الإنجليز واليهود بأرضهم وشعبهم ، حيث شهدت الساحة الأدبية الفلسطينية، وجود نماذج مبكرة ذات أهمية كبرى لنشر الوعي وإيقاظ النفوس فقد (حفل التاريخ الفلسطيني منذ الثلاثينيات - على الأقل - بمظاهر المقاومة الثقافية والمسلحة على السواء ، وإذا كانت الثورات المسلحة أنتجت أسماء من طراز عز الدين القسام مثلا، فإن أدب المقاومة قد أنتج قبل ذلك وبعده أسماء من الطراز نفسه مازال الوطن العربي يذكرها ، من أبرزها إبراهيم طوقان ، وعبد الرحمان محمود.²

¹ - محمد راتب النابلسي : موضوعات أدبية ، أدب فلسطين، درس تلفزيوني، 28-11-1982م www.palestine.info.info

² - غسان كنفاني: الأدب الفلسطيني المقاوم تحت الاحتلال ، 1948-1968م ، مؤسسة الدراسات الفلسطينية ، بيروت ، 1968 ، ط1، ص 9-10

إن الأدب الفلسطيني شكل رافضا هاما في تيار الأدب العربي الذي شغل النصف الأول من القرن العشرين (متأثرا بالأقلام المصرية واللبنانية والسورية التي كانت في ذلك الحين رائدا لمرحلة جديدة، خاضها الأدب العربي بعد نوم طويل).¹

لقد كان الكتاب الفلسطينيون قبل النكبة كباقي الأدباء في الأقطار العربية متأثرين بمختلف التطورات والتغيرات، سواء من ناحية الشكل كالثورة على نظام القصيدة العمودية، أو من ناحية المضمون بظهور نماذج شعرية جديدة، كالشعر السياسي والثوري.

2- أدب النكبة الفلسطينية 1948

جاءت نكبة 1948 ، حاملة معها جرحا عميقا في الجبين الفلسطيني خاصة والعربي عامة ، ومصطلح النكبة (يطلق - كما يسمح بذلك معناه اللغوي- على كل المآسي الفردية والجماعية ، وعلى الفجائع التي تصيب مظاهر الحضارة وال عمران، فالنكبة لغة المصيبة من مصائب الدهر وإحدى نكباته) .²

حقا لقد وقع حدث تاريخي هام ، هز الأمة العربية بأسرها ، إذ تعد حرب 1948 أحد أكبر مآسي التاريخ الفلسطيني والعربي، مذبحه أدت إلى سقوط جزء كبير من الأراضي الفلسطينية تحت الإحتلال الصهيوني إذ (كانت هذه الحرب نتيجة مباشرة لقرار الاستعمار البريطاني، الانسحاب من فلسطين وإيكال الأمر للأمم المتحدة التي أصدرت تحت ضغط القوتين العظيمتين أُنذاك - الو- م - أ ، والإتحاد السوفيتي - قرار رقم 181 بتاريخ 29 نوفمبر 1948

¹- مصطفى السيوبي: تاريخ الأدب العربي الحديث، الدار الدولية للاستثمارات الثقافية ، بيروت ، 2008 ، ط1، ص 207.

²- محمد حمدان: أدب النكبة في التراث العربي، من منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2004 ، ص 13

بتقسيم فلسطين إلى دولتين عربية (45 بالمائة) ، يهودية (54 بالمائة) ، ومنطقة دولية (

1 بالمائة)¹.

أسفرت هذه الحرب عن تشريد الآلاف من الشعب الفلسطيني عن أراضيهم ووطنهم ، وتدمير كياناتها السياسي والاقتصادي ، محاولة بذلك طمس الهوية الفلسطينية .

إن أحداث هذه الحرب ، التي كتب حولها الكثير من الأدباء كانت مرحلة جديدة في حياة الأدب العربي الفلسطيني، حيث قدر للحركة الأدبية أن تولد من رحم النكبة ، والتي صبغت الأدب الفلسطيني شعرة ونثره ، بصبغة المأساوية، إلا أنها لم تقعه عن المطالبة بحقه المغتصب والمقاومة بثتى طرقها منها المقاومة بحد الكلمة المناضلة.

والمطلع على الأدب الفلسطيني من 1948 إلى 1968م يلمح ذلك التلاحم بين المسألة الإجتماعية والمسألة السياسية ، فكما هو معروف أن الفلسطينيين عرفوا بالتحدي والمواجهة لكل الصعاب التي واجهوها أمام الإحتلال الإسرائيلي، فكانت إرادة التحرير دافعه الأول ، من أجل تحقيق الحرية للوطن الأم والحفاظ والتمسك بالقيم والجذور التاريخية، لذلك نجد أن المقاومة الفلسطينية تميزت بشكلين لا يمكن فصل أحدهما عن الآخر، هما العامل السياسي والعامل

¹- محسن محمد صالح : المقاومة المسلحة ضد المشروع الصهيوني في فلسطين ،المركز الفلسطيني للإعلام ،1920، 2001، ط1، ص19

الثقافي إذ (يشكل هذان العاملان اللذان يكمل واحدهما الآخر الأرض الخصبة ، التي

تستولد المقاومة المسلحة وتحضنها وتضمن استمرارها ومسيرتها ، وتحيطها بالضمانات).¹

كما شهدت فترة 1948م صدور نماذج تاريخية للثقافة المقاومة من طرف مجموعة من

المتقنين العرب في فلسطين المحتلة الذين كتبوا عن فلسطين وعن المأساة التي حلت بهم

والضياح والتشتت الذي يعانون منه خارج وطنهم فلسطين أمثال سميح القاسم ، توفيق زياد ،

محمود درويش ، غسان كنفاني، وغيرهم ممن أنجبتهم سنوات الكفاح الطويل .

وهذا محمود درويش يصف لنا حالة الاضطهاد والتشريد والتهجير التي يعيشها اللاجئين

الفلسطيني في قصيدة يقول فيها:²

سجل أنا عربي

ورقم بطاقتي خمسون ألفا

وأطفالي ثمانية

وتاسعهم سيأتي بعد صيف

¹ - غسان الكنفاني الأدب الفلسطيني المقاوم تحت الإحتلال ، ص 9 مرجع سبق ذكره.
² - إبراهيم خليل: مدخل لدراسة الشعر العربي الجديد، دار المسيرة ، الأردن، 2010، ط3، ص90.

3- أدب النكسة الفلسطينية 1967

شهدت مرحلة 1967م العديد من الأحداث الهامة في مسيرة النضال الفلسطيني، وكان أولى هذه الأحداث ما يسمى بنكسة جوان 1967م ، وقبل أن نتحدث عن هذه الكارثة لابد أن نلقي بعض الأضواء على الأوضاع السائدة ، قبل النكسة ، لقد سعت إسرائيل منذ دخولها إلى الأرض المحتلة مصادرة الأراضي الفلسطينية وتوطين المهاجرين اليهود بدلا من سكانها الأصليين ما أدى إلى ظهور بوادر النضال السياسي، التي أيقنت أن الوحدة العربية هي السبيل لتحرير فلسطين ، ففي الفترة الممتدة من 1948 إلى 1967م " تولت الأنظمة العربية بقيادة جمال عبد الناصر، زمام المبادرة بينما تراجع الدور القيادي الفلسطيني فاسحا المجال أمام الحل العربي " ¹

وبعد نجاح بعض الدول في تحقيق الاستقلال، كان هذا حافزا دفع الكثير من الفلسطينيين للاعتقاد بإمكان أن يتولى أبناء القطر الواحد ، عملية المقاومة والتحرير، كان الأمل كبيرا في تحقيق هذا الحلم العربي لكن الصدمة كانت مروعة، لقد وقعت خسارة ضخمة باحتلال بقاع واسعة من الأراضي العربية، وهذا طبعاً يعود إلى ضعف الأنظمة العربية، إذ أنها " افتقدت للمنهجية الصحيحة والجديّة، والإرادة الحقيقية للقتال....وانشغلت بدغدغة عواطف الجماهير بدلا من إعدادها للمعركة، بينما كان الكيان الصهيوني يشدد ويزداد قوة ورسوخا". ²

¹- محسن محمد صالح: الحقائق الأربعون في القضية الفلسطينية، المركز الفلسطيني للإعلام ، نوفمبر 2003، ص6.

²- المرجع السابق، ص6

إن نكسة 1967م كانت أشد تأثيراً على جيل هذه الأمة ، الذي كان يحتاج لكي يفيق من سباته ، ففي " 5 حزيران 1967م اشتعلت الحرب وضرب الطيران المصري في مطاراته، وأمر الجيش بالانسحاب يتعقبون آثاره يأسرون ويقتلون".¹

ولا ريب أن هذه الهزيمة خيبت آمال الشعب المظلوم والذي حكم عليه بالنتشت الأبدية، سواء داخل الوطن الأمة أو خارجه، ضاع ما تبقى له من فلسطين وتبخرت الأحلام في قيادة جمال عبد الناصر وفي الشعارات القومية لتحرير فلسطين، وأمام هذه الكارثة التي ألمت بالشعوب العربية ظهرت مجموعة من الإبداعات الفنية، بالرغم من تأثير أحداثها سلباً في نفوس المبدعين الفلسطينيين حيث " وقف الأدباء من هذه النكسة الدامية موقفين ، موقفاً سلبياً يتمثل بتوجيه أصابع الاتهام، وإبراز نقاط الضعف وتصوير التمزق والانقسام العربي، ومن الأدباء من وقف موقفاً إيجابياً يثق بقدرة الإنسان العربي على محو عار النكسة وتطلع إلى مستقبل مشرق".²

وهاهو سميح القاسم يستقبل 5 حزيران 1967م بصورة فريدة في قصيدة عن الفدائي يقول:³

يا من ورائي

لاتخونوا موعدي

هذي شراييني

خذوها وانسحبوا منها

¹- ركبي جمال الدين: أزمة الخليج جذورها التاريخية ووقائعها الحالية، دار الهدى، الجزائر، 1991، ص88 .

²- محمد راتب النابلسي: موضوعات أدبية ، أدب فلسطين www.palestine.info.infi

³- غسان كنفاني: الأدب الفلسطيني المقاوم تحت الاحتلال ، ص62، مرجع سبق ذكره.

بيارق نسلنا المتذمر

4 الانتفاضة في الأدب الفلسطيني 1987م:

تعرف الانتفاضة في موسوعة السياسة على أنها " الفعل الجماهيري المباشر المتمسم بالعنف الذي ينشأ عن بلوغ التناقضات الاقتصادية والاجتماعية أو القومية ذروتها، وتوفر وضع ثوري كامل.... فالانتفاضة تحدث بصورة مفاجئة عندما يصل الصراع بأنواعه إلى نقطة الغليان، التي يصبح عندها من المستحيل التنبؤ بموعد وماهية الانتفاضة".¹

أما فيما يخص الانتفاضة الفلسطينية فقد تفجرت في الثامن من شهر كانون الأول عام 1987م، وذلك من خلال مجموعة من الشبان الفلسطينيين إثر حادث دهس، تعرضت له سيارتان من العمال العرب في قطاع غزة من سائق يهودي مأمور بتنفيذ هذه المهنة، وقد خلف هذا الحادث مفارقة ثلاثة منهم الحياة، وعلى إثرها قام الشباب الفلسطينيون بتشجيع الشبان الثلاثة في مسيرة ضخمة، ولقد أرخ الأدب الشعبي هذا الحدث الأليم في أغاني الناس وهتافاتهم التي جاءت تعبيراً صادقاً عما يجول في خواطرهم فقالوا:²

في الثامن من شهر اطنعش من عام السبعا وثمانين

هبت انتفاضة حرة بين ربوعك فلسطين

وجاءت الانتفاضة لتفرج عن الشعب الفلسطيني همومه وآلامه من الكبت والاضطهاد

الذين عانا منهما.

¹ - عبد الوهاب الكيالي: الموسوعة السياسية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1991، ط3، ص346.

² - البرغوتي عبد اللطيف: ديوان الانتفاضة الشعبية، 1997، ط1، ص95.

ومن أهم الأحداث في التاريخ الفلسطيني التي حدثت في الانتفاضة الأولى، مجزرة الأقصى المبارك " في يوم الاثنين الموافق لـ 8-10-1990م تخضبت ساحات وباحات الأقصى المبارك، بدماء الشهداء من أبناء الشعب الفلسطيني، فيما قدرت الوسائل الإعلامية والصحفية عدد الذين جرحوا بأكثر من ثلاثمائة".¹

كما عمد الشعب الفلسطيني إلى كتابة شعارات تعبر عن الحزن لفقدان الشهداء وموااساة الأسرى والجرحى، وبالإضافة إلى مجزرة الأقصى المبارك فإن انتفاضة عام 1996م، كانت هي الأخرى من بين أهم الأحداث في التاريخ الفلسطيني التي حدثت في الانتفاضة الأولى.

والأدب الفلسطيني أرخ لهذا الحدث المؤلم (الانتفاضة) حيث أن جل الأدباء الفلسطينيين كانوا في مقدمة من هزتهم هذه الكارثة والفاجرة، ومن بين هؤلاء الأدباء الشاعر سميح القاسم الذي يؤكد في قصيدة له أنه من لم يقف أمام الشعب الفلسطيني اتجاه المستعمر الصهيوني ، سواء بحد الكلمة أم السلاح فإنه حتما خائن وجبان يقول:²

أعلنها حرب شعواء

باسم الأحرار الشرفاء

عمالا طلابا شعراء

أعلنها وليشبع من خبز العار

الجوف الجبناء

أعداء الشمس

1- سيرين سعدى مصطفى جبر: الانتفاضة في الأدب الشعبي الفلسطيني في شمال فلسطين، نقلا عن البيادر السياسي العدد 332 / 90/10/30، ص56

2- إبراهيم خليل : مدخل لدراسة الشعر العربي الحديث ، ص 256 مرجع سبق ذكره.

3- أهم قضايا الأدب العربي الفلسطيني:

1- الالتزام بالقضية الوطنية:

كان للكلمة الأدبية دورها الهام ودلالاتها الخاصة ، لذلك فقراءة واحدة لقصائد الشعراء من أمثال محمود درويش أو سميح القاسم أو الشاعر توفيق فياض، تخبرنا وبجلاء عن مدى ارتباط هؤلاء الشعراء بوطنهم ، ومدى التزامهم بقضيتهم وتسخير أدبهم في سبيل خدمة هذا الوطن "فالغالبية الساحقة من أدباء المقاومة في فلسطين المحتلة ، يمدون التزامهم إلى ما هو أبعد من الحدود الفنية، إنهم منسبون فعلا إلى الحركة الوطنية بصورة أو بأخرى".¹

إن فالأدباء الفلسطينيين يتحدثون عن وطنهم بصوت المشارك لا بصوت المتفرج من بعيد، لأنهم سئموا الانتظار والوعود الكاذبة وعود تكتب بلغة الاستعارة ، وتظلي حروفها بالعسل ورغم ذلك قطعها مر .

يقول محمود درويش في قصيدته (تلك صورتها وانتحار العاشق):²

أنا ضد العلاقة ، والبداية والنهاية ، ضد أسماء

أنا المتكلم الغائب .

فمحمود درويش يقف موقف الشك، موقف الرفض الثوري، إنه يقف ليصرخ بأعلى صوت، بأنه يقف جانب هذا الوطن، وبأنه ضد كل شيء ضد البداية وضد النهاية ، وضد حتى اسمه.

¹- غسان كنفاني: الأدب الفلسطيني المقاوم تحت الإحتلال، ص 45، 46، مرجع سبق ذكره.
²- جروة علاوة وهيبي: التجريب في القصيدة العربية، دار البعث، الجزائر ، 1984م، ط1، ص941.

2- الالتزام بالقضايا الاجتماعية :

إن الأديب شاعر وأوقاص لا يكون أدبياً إلا بمقدار ما يكون ابن عصره، ومثل هذا الأديب نجده في فلسطين المحتلة حيث راح الأدباء يعبرون عن واقعهم الاجتماعي والأوضاع الاجتماعية التي يعيشونها، فالظلم قد فاق الحدود وبلغ أقصى ما يطمح إليه المستعمر، والفقير أصبح السمة الغالبة على الشعب أضف إلى ذلك القيود التي يفرضها المجتمع الريفي على علاقات الرجل بالمرأة أو الأب بالابن ، فبالنسبة لمحمود درويش نجده يطوع موقفه الاجتماعي دون مساومة، وعلى صعيد فني فإن العائلة عنده هي ذاتها الوطن، وكذلك الحب ولعل هذا المقطع يلخص لنا ذلك الموقف¹:

خبئني عن أذني هذي الخرافات الرتيبة

أنا أدري منك بالإنسان

بالأرض الخصيبة

لم أبع مهري

أما على صعيد القصة القصيرة فإنه يوجد فيها كذلك تركيز على الوضع الاجتماعي ولعل أبرز مثال على ذلك " في قصة قصيرة لعبد الرحمان محمد سعيد التي تحتوي موقفاً طبقياً، وتركز على نقد العلاقات الاجتماعية"².

فكان رد فعل السياسة الاستعمارية ضد الأدباء، هو إتباع سياسة القمع وسجن الكثير منهم، لأنها تدرك تمام الإدراك أن المواقف والقيم التي يبيثها الأديب في شعره والتوعية التي يزرعها في الأوساط الاجتماعية تتعارض ومصالحه وأطماعه السياسية.

¹- غسان كنفاني : الأدب الفلسطيني المقاوم تحت الاحتلال، ص51

²- المرجع نفسه، ص53.

3- الالتزام بالبعد العربي :

ومن الأبعاد التي التزم بها أدب المقاومة الفلسطيني كذلك البعد العربي، فالقضية الفلسطينية تتفاعل مع القضايا العربية، وطبيعة هذه القضية تضعها في مركز الوسط من التفاعلات، ولذلك فإن شعراء المقاومة في فلسطين يعتبرون اللسان الناطق لتلك التفاعلات والمؤرخين لها، فجل الثورات التي كانت تقع في الوسط العربي ومرور أي حدث فيها، كان يعبر عنه في شعر المقاومة الفلسطيني " ففي ديوان شعر المقاومة، ليس بالإمكان مرور أي حدث عربي دون أن يؤرخ في ذلك الشعر، بل إن عدوان 1956م على مصر كان نقطة تحول أساسية في تاريخ ذلك الشعر، وكذلك كانت ثورة الجزائر وثورة اليمن، وبناء السد العالي".¹

4 الالتزام بالبعد العالمي:

التزم شعر المقاومة الفلسطيني بحركة الثورة في العالم حيث كان هذا الإلتزام ميزة من ميزات شعر المقاومة، فما قدمه محمود درويش ورفقاؤه من شعراء الأرض المحتلة من عطاءات شعرية

يغني لثورات العالم وقضاياها الحرة "فعالميا يدرك شعر المقاومة التزامه بحركة الثورة في العالم، التي هي في نهاية المطاف المناخ الذي تنمو داخله الحركة الثورية المحلية، تؤثر به وتتأثر منه".²

استطاع الأدب الفلسطيني بفضل رواده أن يرسم بدقة الصورة الحقيقية لحياة الشعب الفلسطيني حيث عبروا بكل أمانة، عن التاريخ النضالي الطويل وارتبط ارتباطا وثيقا وسليما بجميع النكبات و المآسي التي حلت بالأمة العربية عامة والفلسطينية خاصة.

¹- المرجع السابق، ص 68

²- المرجع نفسه ص 63.

كما أن الأديب الفلسطيني عالج هموم شعبه ، وعبر عن أمنيته وطموحاته في الحرية والمساواة فرسخ الاعتزاز بالانتماء لفلسطين ، فكلمة فلسطين في لسان كل فرد محب لبلده ووطنه ، تغنى بها الشاعر والكاتب والفيلسوف فكان صوت المفكر والأديب هو الصوت المؤكد لالتزام الكلمة بالقضية التي يدافع عنها.

ويبقى الأدب الفلسطيني معبرا عن قضية جوهرية واحدة وهي قضية الإنتماء، والسعي إلى تأكيدها وغرسها في روح الشعب الفلسطيني المقاوم.

الفصل الأول

الفصل الأول : الإلتماء المفهوم والماهية

تمهيد

- 1- مفهوم الإلتماء في اللغة والاصطلاح.
- 2- مفهوم الإلتماء في العلوم الإنسانية الأخرى.
- 3- عناصر الإلتماء.
- 4- مظاهر الإلتماء.

تمهيد:

الانتماء سمة إنسانية أصلية أصالة الإنسان نفسه ، وحديثنا على الانتماء يقتضى منا الحديث عن الهوية سواء المتعلقة بهوية الفرد أو الجماعة التي ينتمي إليها " فسؤال الهوية هو السؤال الوجودي الأول عند الفرد أو الجماعة ، من أنا؟... من نحن ؟ "1، و الهوية هي " الشفرة التي يمكن للفرد عن طريقها أن يعرف نفسه في علاقته بالجماعة الإجتماعية التي ينتمي إليها ، والتي عن طريقها يتعرف عليه الآخرون باعتباره منتبياً إلى تلك الجماعة "2

كما أن هويتها هي هذا الدين الذي أكرمنا الله به في ظل وحدانية الإسلام التي لا يجمعها جنس ولا تجمعها لغة ، ولكن يجمعها دين واحد ، فالأمة المسلمة أمة واحدة منذ عهد آدم عليه السلام كما قال تبارك وتعالى " إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون "3 .

والانتماء الذي بصدده التحدث عنه هنا ، هو علاقة الإنسان بالوطن والتاريخ ، لأن الإنسان يملك تاريخاً لا يستطيع الإنفلات منه ، هذا التاريخ هو الوجود المادي الذي يثبت عنصر الانتماء لدى الإنسان فكراً وشعوراً وسلوكاً إلى أرض أو جماعة ما.

1 علي حمدان : إشكالية الهوية و الانتماء ، المركز الأسترالي العربي للدراسات السياسية ، سيدني ، 2005 ، ط 1 ، ص 10.

2 - رشاد عبد الله الشامي : إشكالية اليهودية في إسرائيل ، عالم المعرفة للثقافة والآداب ، الكويت ، 1997 ، ص 5.

3 - سورة المؤمنون الآية 52.

1- مفهوم الانتماء في اللغة والاصطلاح:

أولاً - المفهوم اللغوي:

فسر بن منظور في معجم "لسان العرب" كلمة انتماء بمعنى ، نَمَى الشيء زاد وارتفع، وفي الحديث ينمي صعدا أي: يرتفع ويزيد صعودا، ونميته إلى أبيه نميا ونميا، وأنميته: عزوته ونسبته، وانتمى هو إليه انتسب، وفلان ينمي إلى حسب وينتمي يرتفع إليه . وفي الحديث : من ادعى إلى غير أبيه أو انتمى إلى غير مواليه أي انتسب إليهم أو صار معروفا بهم ، و يقال : انتمى فلان إلى فلان إذا ارتفع إليه في النسب ونماه جده إذا رفع إليه نسبه ومنه قوله : نماني إلى العلياء كل سميدع¹

ثانياً - المفهوم الاصطلاحي:

إن وجود الإنماء مرتبط بوجود أناس تجمعهم علاقات ما في زمان ومكان محددين ، إذ لا يمكن تحقيقه إلا من خلال الاندماج والانسجام مع جماعة معينة ، فالإنسان يولد منتميا إلى أسرة مضافة إلى انتماءاتها العشيرية أو القبيلة أو القومية أو إلى الإنسانية جمعاء وهذا يعني أنه "التقارب و التعدد في إطار الوحدة، فالانتماء وحدة تضم مالا يقل عن شخصين متقاربين في الصفات المكونة لكل منهما " ²

¹ - ينظر : ابن منظور : لسان العرب ، (ت ح) ، خالد رشيد القاضي ، الدار البيضاء، بيروت ، 2006 ، ج 14 ، مادة ن م ا .

² - فاروق احمد أسليم : الإنتماء في الشعر الجاهلي ، اتحاد كتاب العرب ، دمشق ، 1998 ، ص 24 .

فالناس المنتمون إلى رابطة إنسانية معينة متقاربين في المشاعر والأفكار والسلوك ، هذا التقارب لا ينفي وجود خلاف بين المنتمين ، فالفرد قد يكون في جماعة تمثله ويمثلها تعائشه و يعيشها إلا أنه لا يتوافق مع معاييرها ولا يشاركها ميولها واهتماماتها ، وفي هذه الحالة يصبح منتميا إلى هذه الجماعة ولكن مبادئه وآراءه تنتمي إلى جماعة أخرى ، " ويعود سبب تنوع الانتماء نتيجة جدل الإنسان وهو يبحث عن وسائل التي ترقى به نحو التحرر، و الانفلات من الظروف التي تعوق تطوره".¹

ولا حرج في ذلك ما دام التنوع لا يلغى الوحدة وإنما يدل على التفاعل الإنساني فوق الأرض ، ومن الطبيعي أن تجد الإنسان يبدي الولاء والمحبة بالانتماء لجماعة تتميز بهوية واضحة ثابتة مستقلة ومتميزة. وتعد الحاجة للانتماء من الحاجات المهمة التي تشعر الفرد بأنه جزء من جماعة معينة ، إذ تكمن حقيقة الانتماء في مدى معرفتنا للهوية الوطنية التي ننتمي إليها ، ومدى تمسكنا وتعلقنا بأصولنا وتاريخنا وذاكرتنا فالانتماء " هو الذي يعطي الأمم الوصف الذي تستحق به أن تكون أمة ، وهو القاعدة الأساسية لبناء الأمم لأن الهوية التي تنتمي إليها أي أمة هي تميزها عن غيرها"²

إن الشعور بالانتماء إلى قومية أو وطن ما يبعث في النفس شعورا بالفخر بذلك الوطن وإنجازاته والإيمان به ، ويساعد كل هذا على وحدة الجماعة وانطلاقها في عمل جماعي "

¹ - المرجع السابق ، ص 16 .

² - بشر بن فهد البشر : حقيقة الانتماء ، مخطوطة ، ص 2 .

فالانتماء الوطني يعتبر من أوضح نماذج التوحد مع المجتمع حيث يلاحظ تأثير شخصية الأمة على شخصية الفرد ، وتطابق شخصيته مع النمط الثقافي السائد".¹

إذ يمكن القول أن العقابات التي تقف أمام الوحدة الوطنية والوحدة القومية ، هي التي تدفعنا لدفاع عن الهوية التي ننتمي إليها وقد " إستطاع شعب فلسطين - كنموذج - أن يؤكد وحدته الداخلية من خلال انتمائه الوطني وتمسكه بهويته النضالية"²

وكما هو معروف أن الهوية الفلسطينية إعتبرت نفسها جزءا لا يتجزأ عن الهوية العربية ، فالعروبة هي الحصن الذي إستندت إليه القضية الفلسطينية في تصديها للمشروع الصهيوني ، فالقضية الفلسطينية نشأت منذ بدايتها قضية قومية عربية ، بوصفها قضية أمة برمتها لاقضية شعب واحد منها.

ولا شك أن العرب يحلمون بالوحدة والتحرر أمام صنوف العدوان والقهر فقد " حدد العربي هويته في العصر الحديث متأثرا بعلاقات الهيمنة ، التي فرضها عليه الغرب ، وبدافع التحرر من هذه الهيمنة من جهة ، ومن كل مظاهر الاستغلال الطبقي والاستبداد والإضطهاد الداخلي من ناحية أخرى"³. بإعتبار أن الهوية لا تتأكد ولا تتعمق إلا في مناخ ديمقراطي ، فالديمقراطية هي المبدأ الأساس لتفتح الهوية ، وبناء مواطن مدرك لمسؤولياته .

1 - صابر أحمد عبد الباقي : مفهوم الانتماء ، مخطوطة ، ص 1.

2 - أبو عيسى حجير : قوة الانتماء الوطني الفلسطيني، مخطوطة ، ص 1.

3 - محمد حنيفي : الانتماء القومي وإشكالية الهوية.

في ضوء ما تقدم فإن مسألة الانتماء ولاسيما الانتماء القومي ، مسألة جوهرية بوصفه ضرورة تاريخية وراهنة للشعوب العربية ، فالوحدة الوطنية والقومية يستحيل أن تبنى على أسس قوية وراسخة بغير انتماء ، فالانتماء فرصة للمشاركة أو الإحساس بدور ما ، سواء في حياة الأسرة أو المجتمع أو الوطن الذي تنتمي إليه.

2- مفهوم الانتماء في العلوم الإنسانية:

تناولت علوم كثيرة مفهوم الانتماء بالدرس والتمحيص، ومنها علم الاجتماع، والفلسفة ، وعلم النفس وهي كلها مفاهيم متداخلة مع بعضها تكاد تصل أحيانا إلى درجة التطابق .

أولا - في علم الاجتماع:

يعتبر الانتماء من أهم المفاهيم التي تحدد طبيعة العلاقة بين الفرد والجماعة، فالبشر كائنات اجتماعية، مخلوقات تتجمع سويا ويعتمد كل منها على الآخر عبر مراحل الحياة ، فالعلاقة بالآخرين تعتبر من الضروريات.

وتبرز أهمية الانتماء على المستوى الجماعي كونه العمود الفقري للجماعة ، وبدونه تفقد الجماعة تماسكها وتصبح مهددة بالإنهيار .

أما على المستوى الفردي فيساهم الانتماء في تحقيق الرغبات الشخصية والاجتماعية التي يعجز الفرد عادة عن تحقيقها بمفرده، وشعوره بالانتماء إلى جماعة تتقبله ويتقبلها تعطيه الأمن والطمأنينة.

فأساس الانتماء هو مبدأ مشاركة أفراد المجتمع ، والتعاون فيما بينهم من أجل مواجهة المشاكل التي قد تحيط بهم ، ووضع البرامج المناسبة لمواجهتها.

والانتماء الإجتماعي يقابله على الضد تماما مفهوم الاغتراب الذي يعني ابتعاد الفرد عن ذاته وعن جماعته وسواء ابتعد الفرد عن جماعته ومغادرتها إلى جماعة أخرى فهو في كلتا الحالتين إنما هو فاقد لانتمائه والحياة في أوسع مقاييسها حقيقة اجتماعية واقعة، فالفرد عضو في مجتمع منغمس في وضع اجتماعي معين، وشعوره بالانتماء يعتبر من أهم الدعائم التي تحافظ على استقراره ونموه وتمسكه.

وإذا كان المجتمع والعوامل المؤثرة فيه هي بمثابة التربة التي ينمو بها الإنسان، فإن الانتماء يشير إلى مدى شعور أفراد هذا المجتمع بالانتماء إلى مجتمعهم فلا يخلو مجتمع - أيا كان - من أناس يسعون لخدمته وتوعية أفرادهم بمشاكلهم ، وتقديم الحلول الممكنة لهذه المشاكل ، ويمكن أن نستدل على ذلك من خلال المشاركة الإيجابية في أنشطة المجتمع والدفاع عن مصالحه وكذلك الشعور بالفخر والإعتزاز بالانتماء إليه والمحافظة على ممتلكاته، " فالانتماء هو ارتباط الفرد بجماعة ، حيث يرغب في الانتماء إلى جماعة قوية ، يتقصد شخصيتها ويوحد نفسه بها، مثل الأسرة أو النادي أو الشركة".¹

ثانيا - في علم النفس:

إضافة إلى المفهوم الإجتماعي للانتماء ، هناك مفهوم آخر ، احتل مكانة هامة في أوساط العلماء والباحثين بالفحص والدراسة وهو الانتماء النفسي ، حيث يذهب علم النفس إلى أن الانتماء يشير لحاجة من الحاجات النفسية ويرتبط بشعور داخلي لدى الإنسان ينعكس من خلال النشاطات التي يساهم بها داخل مجتمعه " فالحاجة إلى الانتماء تعتبر من الحاجات المهمة التي تشعر الفرد بأنه جزء من جماعة معينة سواء كانت هذه الجماعة (الأسرة ، الرفاق، جماعة معينة)".²

¹ - أحمد زكي بدوي : معجم مصطلحات العلوم الإجتماعية ، مكتبة لبنان، بيروت ، 1978 ، ط1، ص16.

² - صابر عبد الباقي : مفهوم الانتماء ، كلية الآداب جامعة ألمانيا، ص4 .

ويعتبر الإنتماء من العوامل الهامة التي تساعد على تماسك الجماعات والأفراد، وتزيد من استقرارهم وإشباع هذه الحاجة يؤدي استقرار الجماعات وتنظيماتها المختلفة ، والإنتماء النفسي ظاهرة ليست مقتصرة على مجتمع دون آخر فأينما وجد الإنسان وجد الإنتماء ، فهو دليل على صحته النفسية واستقرار لذاته ، وهو دليل توحد بين الفرد والجماعة مع توفر الإحساس بالأمان والرضا والفخر والاعتزاز وهو اتجاه يستشعره الفرد من خلال اندماجه في جماعة وتوحده معها وأنه صار جزء منها ، وله مكانته المتميزة ووضعه الآمن بها .

ومن المتفق عليه بين المشتغلين بعلم النفس أن الأسرة تلعب دورا هاما في إعداد الفرد وتكوينه ، وتأهيله للقيام بأدواره ووظائفه داخل النسق الاجتماعي حيث تمثل الأسرة المؤسسة الإجتماعية الأولى التي تحضن الطفل منذ اللحظات الأولى " فالأسرة تقوم بمجموعة من الوظائف الأساسية مثل الوظيفة النفسية والوظيفة الاقتصادية وغيرها."¹

فالفرد منذ طفولته المبكرة يحيا في ظل مجموعة من القيم والأفكار والمبادئ التي تترسب في وجدانه حتى تتحول لديه إلى شعور غير محسوس ، ومن خلال ذلك يصبح الفرد منتميا إلى المكان وإلى الأسرة وإلى الجماعة وإلى المجتمع وإلى الوطن.

فالحاجة للانتماء من أهم الحاجات التي تحرس الأسرة على إشباعها لدى الطفل .

نستنتج من خلال ما سبق أن الانتماء ركن أساسي في الحياة النفسية ، تستتبع حتما الانتماء إلى الوطن ، بحيث يشعر الفرد بأن الوطن له وأنه مسؤول عن سلامته وحياته وديمومته ، ومتى شعر الفرد بهذه الرابطة النفسية ينمو لديه الإحساس الذي يكاد يكون غريزيا بأنه جزء من كل وبأنه له دور في مجتمعه يترتب عليه القيام بالمحافظة عليه وبالتالي المحافظة على نفسه لكونه جزء لا يتجزأ منه ، فالانتماء النفسي يعتبر من الأبعاد الهامة التي تساهم في

¹- المرجع السابق ص6.

تطوير المجتمعات وضمان تواصلها واستقرارها عبر الزمن، ولكي نتفاعل مع جيلها والجيل الذي يستقبلها مرحبا ببعثاتها .

ثالثا - في الفلسفة:

إضافة إلى البعدين السابقين للانتماء النفسي والاجتماعي، هناك بعد آخر شغل آراء العديد من العلماء و الفلاسفة و هو البعد الفلسفي ،حيث يرون أن الإنسان بحاجة للانتماء ليرتبط و ينسجم مع المنتمي إليه ، سواء بشكل أوسع كالانتماء للدولة أو اللغة أو الدين أو القارة أو بشكل ضيق كالانتماء إلى القرية أو الشارع ،أو البيت أو الأسرة .

و الانتماء هو أن يكون الرجل معتزرا بطبيعته، بما فيها من قيم و تقاليد و سجية يتفرد بها فطعم الانتماء لا يذوقه من ليس لديه شعور بالانتماء إلى نفسه البشرية بأصلها وبفطرتها التي خلقها الله عليها ،بما تحويها من قوة و ضعف وحكمة و زلل و صواب و خطأ.

والانتماء أيضا أصالة فالرجل الأصيل نجده يحفظ الجميل ،لكل ماله فضلا عليه أما الرجل الخسيس سرعان ما يحدد الفضل المبذول إليه وينسى صاحبه ،و حين يحقق الإنسان الانتماء مع نفسه البشرية و طبيعته وسجيته التي خلقها الله عليها يتحقق كذلك انتماءه إلى الجماعة التي يعيش فيها أو الوطن أو القارة .

و الإنسان القوي الأصل هو الذي لا يعرف راحة إلا في وطنه أو مجتمعه، حتى ولو كان وطنه جحيماً وما سواه جنة و نعيم مقيم ، فوطنه أو مجتمعه هو الذي يستمد وجوده منه وهو الجهة القادرة على إشباع حاجاته ، و هكذا يكون من السهل عليه أن يضحي من أجله مهما ذاق أما الإنسان الضعيف فهو الذي سرعان ما ينسلخ من جذوره و يرضى أن يعيش مبتور الأصل إذا كان أصله غير مرض له ، أو إذا وجد حياته أكثر هناءة وراحة في غير أصله .

والانتماء يتطلب الإيمان بمبادئ المنتمي إليه ، أي التوحد معه حيث يتأثر الفرد بكل ما يؤثر على جماعته التي يعيش فيها و يشاركها كل ما يقع أو يحدث فيها و يغار عليها ويدافع عنها في مقابل المجتمعات الأخرى ، بكل دعم مادي أو معنوي فالانتماء "هو النزعة التي تدفع الفرد للدخول في إطار اجتماعي فكري معين بما يقتضيه هذا من الالتزام بمعايير و قواعد هذا الإطار و بنصرتة والدفاع عنه في مقابل غيره من الأطر الاجتماعية والفكرية الأخرى"¹.

و حين يؤمن الفرد بمبادئ الجماعة و يتوحد معها تسهل عليه عملية التضحية من أجلها ، والتضحية قد تكون بمطالب الفرد الخاصة و رغباته في سبيل الحصول على القبول الاجتماعي وقد تكون بنفسه وهي أعلى درجات التضحية.

1-نجلاء عبد الحميد راتب:الانتماء الاجتماعي للشباب المصري ، دراسة سوسيولوجية في حقبة الانفتاح ،مركز المحروسة للنشر ، القاهرة ، 1999 ، ص57 .

3 - عناصر الانتماء:

الإنسان كائن حي عقلائي ، فاعل ومنفعل، فمنذ ولادته ينتمي إلى كنف أسرته ويتطور لديه الانتماء وينتقل من المنزل والعائلة إلى محيطه، فمدينته ثم يتطور الأمر إلى أبعد من ذلك إلى موطنه وأمه .

وعلى هذا يمكن حصر عناصر الانتماء في أمور ثلاثة وهي: الانتماء والأسرة، الانتماء والمجتمع، الانتماء والمواطنة.

أولا - الانتماء والأسرة:

هناك الكثير من الأشخاص يشعرون بعدم الانتماء إلى أسرهم ويرون أنهم مجبرون على هذه العائلة ، ولو عاد الأمر لما اختاروا أن يكونوا في أسرهم من الأساس، وعدم الانتماء شعور صعب لأي شخص لأنه سيشعر بالغبية داخل أسرته ، ومما لاشك فيه أن مرحلة الطفولة تعد من أهم المراحل وأكثرها تأثيرا في حياة الفرد المستقبلية ، إذ يتوقف عليها تحديد المعالم الرئيسية لشخصيته من خلال ما يكتسبه من خبرات وقيم واتجاهات.

ومن المتفق عليه بين المشتغلين بعلم النفس " أن الأسرة تلعب دورا بالغ الأهمية في إعداد الفرد وتأهيله للقيام بأدواره ووظائفه داخل النسق الاجتماعي، حيث تمثل الأسرة أولى المؤسسات الاجتماعية التي تحضن الطفل منذ اللحظات الأولى لخروجه إلى الحياة ، وخلال كافة مراحل العمرية التالية"¹.

هذا من جهة ومن جهة أخرى يرى علماء النفس " أن الأسرة تقوم بمجموعة من الوظائف الأساسية، مثل الوظيفة النفسية كالحب والشعور والانتماء ، والوظيفة الاقتصادية ثم وظيفة

¹ - صابر أحمد عبد الباقي : مفهوم الانتماء، كلية الآداب جامعة ألمانيا، ص6

التطبيع الاجتماعي والتنشئة الاجتماعية"¹، أضف إلى ذلك أن الحاجة إلى الانتماء من أهم الحاجات التي يجب أن تحرس الأسرة على إشباعها لدى الطفل، وذلك لما يترتب عليها من سلوكيات مرغوبة يجب أن يسلكها الطفل منذ صغره ، وحتى بقية مراحل عمره.

وبشكل عام يمكن القول أن للعلاقات الأسرية أثرا إيجابيا في تكوين الشعور بالأمن وتطور مفهوم الذات الإيجابي عند الطفل، حيث أن نسق الأسرة - مثله في ذلك - مثل سائر الأنساق الأخرى ، يكون رهنا للظروف والمتغيرات الاجتماعية والثقافية والإقتصادية.

ثانيا - الانتماء والمجتمع:

يعد الشعور بالانتماء للمجتمع من أهم دعائمه ، والتي تحافظ على استقراره ونموه وهو يشير إلى مدى شعور أفراد المجتمع بالانتماء إلى مجتمعهم ، ويمكن أن نستدل على ذلك من خلال " المشاركة الإيجابية في أنشطة المجتمع والدفاع عن مصالح المجتمع ، والشعور بالفخر، والاعتزاز بالانتماء إليه، والمحافظة على ممتلكاته، وكل هذه المؤشرات يمكن أن تقاس ويستدل عليها المجتمع"²، ومفهوم الانتماء الاجتماعي واحدا من أهم المفاهيم المركزية التي تحدد طبيعة علاقة الفرد بالجماعة في كل زمان ومكان ، ويقابله على الضد تماما مفهوم الاغتراب" الذي يعني الابتعاد النفسي للفرد عن ذاته وعن جماعته، وسواء ابتعد الفرد عن جماعته أو غادرها، إلى جماعة أخرى فهو في كلتا الحالتين إنما يفقد انتماءه لجماعته من جانب ويواجه برفض الجماعة الأخرى من جانب آخر ، لاختلاف عاداته وقيمه ونمط شخصيته وخبراته"³.

وأخيرا يمكن القول أن أهمية الانتماء تبرز على المستوى الاجتماعي، فهو العمود الفقري للجماعة وبدونه تفقد الجماعة تماسكها، وتماسك الجماعة هو انجذاب الأعضاء لها، والذي

¹- المرجع السابق ، ص6.

²- المرجع نفسه ، ص4،5.

³- المرجع نفسه ، ص5.

يتوقف على مدى تحقيق الجماعة لحاجات أفرادها فطالما أن الجماعة تحقق حاجات الفرد، يمكنها أن تؤثر على أفكاره وسلوكه عن طريق الفوائد التي يحصل عليها من وراء انتمائه لها.

ثالثا - الإنتماء والمواطنة:

الإنتماء لا يتحقق إلا بمقومات المواطنة، ودونها لا يصير لمفهوم الإنتماء معنى ولا قيمة ، بل يغدو مجرد عبارة رنانة يرددتها اللسان أو القلم، لا تسمن ولا تغني من جوع، ضف إلى ذلك أنها تعتبر من أهم عناصر الإنتماء " والمواطنة ليست مجرد مفهوم سياسي أو قانوني ، وليست كما نختصرها في مجرد كلمات أو شعارات نتغنى بها دون وعي بمضمونها وجوهرها ولكنها تعبر عن ذلك الارتباط المعنوي، والشعور القوي بالحاجة إلى تلك الرابطة السيكولوجية والاجتماعية بالمكان أو الحيز الذي يعيش فيه الإنسان ويجد فيه نفسه".¹

ويذهب الباحثون في علم الاجتماع إلى تعريف المواطنة في المجتمع الحديث على أنها " علاقة اجتماعية تقوم بين الأفراد والمجتمع السياسي (الدولة) ، حيث تقدم الدولة الحماية الاقتصادية والسياسية والاجتماعية للأفراد ويقدم الأفراد الولاء للدولة، ويلجئون إلى قانونها لحصولهم على حقوقهم".²

والواضح من هذا التعريف أنه يتضمن " آلية التعاقد (العقد الإجتماعي) ، فحين يفترض أن تكون الحكومة التي تسير الدولة هي المسؤولة عن ترسيخ الشعور بالمواطنة ، فإنها إذا أخلت بشروط العقد أي إذا لم تؤمن الحماية الاجتماعية والاقتصادية للأفراد كان من الطبيعي أن يخف إحساس الأفراد بشعور المواطنة والولاء لقانون المجتمع".³

وعليه وتأسيسا على ما سبق فإن الأمر يستلزم الاعتراف بحقوق الإنسان في وطنه ومجتمعه ، ومن ذلك حقه في الحياة الكريمة والظروف الملائمة ، وكذا الاعتراف بحقه في

¹- محمد عبد الغني حسن هلال : الولاء والانتماء، ص2، مخطوطة.

²- صابر أحمد عبد الباقي : مفهوم الإنتماء، ص2.

³- المرجع نفسه، ص2.

حرية إبداء الرأي والتعبير إزاء كل ما يتصل بشؤون مجتمعه أو وطنه وإزاء كل ما هو حق وعدل في ظل منظومة القيم المجتمعية السائدة.

4 - مظاهر الإنتماء:

تناول جل الباحثين مظاهر الإنتماء والتي تعبر عن السلوك الذي يجسد القيم الوطنية التالية:

1- الاعتزاز بالرموز الوطنية:

عادة ما يختزل الإنسان طريقة تعبيره عن اعتزازه بوطنه من خلال الاعتزاز بالأشياء التي ترمز بوضوح إلى هذا الوطن ، والتي من بينه الالتزام بالقوانين والأنظمة السائدة في هذا الوطن، إذ يسعى الفرد دائما في كل وطن إلى حياة هانئة، يسودها الاستقرار والأمن ويبلورون ذلك من خلال تشريعات تشتمل على أنظمة وقوانين تحضى بالاحترام والقبول وتترجم من خلال سلوكياتهم عبر الالتزام بها، مما يحفظ هوية الوطن ومكانته ويسهل الأمور الحياتية للمواطن، هذا من جهة ومن جهة أخرى فإن " الاعتزاز بالرموز الوطنية هي طريقة تعبير عن الاعتزاز بالوطن ومن أمثلة الرموز الوطنية الفلسطينية مثلا العلم الفلسطيني، والنشيد الوطني والأزياء والفنون الشعبية الفلسطينية".¹

2 - التمسك بالعادات والتقاليد:

تعتبر العادات والتقاليد سمة مميزة لكل شعب من الشعوب حيث أن المقصود بالتمسك بها هو " الحفاظ على العادات والتقاليد وعدم الامتثال للعادات والتقاليد الدخيلة على مجتمعنا، أو تلك التي تتعارض مع الدين أو المنطق العلمي ، ومن العادات والتقاليد الفلسطينية مثلا ما هو متبع في حالات الصلح والخطبة والزواج والعزاء وغيرها".²

¹ - أبو فودة الانتماء الوطني محمد. WWW.MV20V.COM.FORUM/SHOUTHREAD

² - السابق المرجع WWW.MV20V.COM.FORUM/SHOUTHREAD

ومن العادات التي يتصف بها المواطن الفلسطيني، المشاركة في الأعمال التطوعية ومد يد العون للمحتاجين والفقراء وبما أن فلسطين محتلة من قبل عدو لا يرحم فإنه من الطبيعي أن تتعرض إلى كل الجرائم من قتل وتدمير وتخريب وضعف في إمكانات السلطة الوطنية كل ذلك يجعل من " المشاركة في الأعمال التطوعية قضية بالغة الضرورة والأهمية لما لها من أثر عظيم في مقاومة آثار العدوان وإسهام في تسريع عجلة البناء إضافة لكونها مظهرا هاما من مظاهر الانتماء.

3- التضحية دفاعا عن الوطن :

إن التضحية دفاعا عن الوطن تأخذ أشكالا عدة "فهناك من يضحي بماله أو سنوات عمره التي يقضيها في الأسر ، و لعل التضحية بالنفس هي أعظم المظاهر الدالة على الانتماء إلى الوطن ويزداد هذا المظهر قوة وشيوعا مع تصاعد وتيرة العدوان ، و في الواقع الفلسطيني يكتسب هذا المظهر أهمية خاصة و يحظى بتقدير يصل حد القداسة".¹

و المشهد الفلسطيني غني بمثل هذه الأمثلة وهو مظهر بات يمارس بشكل يومي في خضم انتفاضة الأقصى.

إن هذه هي أهم وأبرز مظاهر الانتماء إلى الوطن ،حيث أن الالتزام بهذه المظاهر يؤدي إلى تقوية شعور الفرد بالانتماء إلى الأرض التي يعيش فيها ، و توجيهه توجيها يجعله يفتخر بهذا الانتماء و يتفانى في حب وطنه و يضحي من أجله ،أضف إلى ذلك أن مشاركة

الإنسان في بناء وطنه تشعره بجمال الحياة و بقيمة الفرد في مجتمعه ، و ينمي لديه مفهوم الحقوق و الواجبات و أنه لا حق بلا واجب ،وتقديم الواجبات قبل الحصول على الحقوق.

¹- المرجع نفسه WWW.MV2OV.COM.FORUM/SHOOUTHREAD

يتجلى لنا مما سبق الإشارة إلى أن الأدب الفلسطيني خاض النضال الوطني والقومي على أكثر من مستوى ، إذ حمل سلاح الذاكرة والحنين في وجه الأعداء ، وركز على التأكيد بأهمية الإنتماء إلى المكان في ظل علاقاتها بالإنتماء إلى مشروع نهضوي جامع ، وترسيخ الوعي بالأهمية الجوهرية للإنسان كونه في نهاية الأمر قضية من هذا الاعتبار ارتبط الأدب الفلسطيني كله بمفهوم الإنتماء ، حيث لم يتناول إلا قضية واحدة هي القضية الفلسطينية .

الفصل الثاني

الفصل الثاني: صورة الانتماء في رواية " عائد إلى حيفا"

تمهيد.

- 1- تعريف الكاتب.
- 2- أهم المحطات الأدبية الكبرى لغسان كنفاني.
- 3- تلخيص الرواية.
- 4- تحليل الرواية.

تمهيد:

تعد الرواية نصاً أدبياً متميزاً بذاته، له خصائص معرفية ولغوية وفنية جمالية "فهو مصدر من مصادر المتعة من ناحية و مصدر للمعرفة من ناحية ثانية، إنه نص يطرح إشكالات كثيرة في سبيل تبليغه و إفهامه وفي تلقيه و فهمه ، ويصلح أن تجري أبحاث متخصصة في هذا الميدان بشأنه ، ذلك أن الرواية تحتاج إلى منهجية مضبوطة في قراءتها و إقراءها"¹.

لقد أصبحت الرواية لسان حال المجتمع في العصر الحديث تعالج كل المعطيات و الظروف المحيطة بالإنسان الاقتصادية و الاجتماعية و السياسية ،أما بالنسبة للرواية الفلسطينية فإن أصحابها يحاولون الوقوف عند أهم الدلائل التي تعكس حقيقة الانتماء إلى فلسطين و وسيلة للمقاومة و الدفاع عن هذه الأرض و الهوية أضف إلى ذلك أنها ركزت على قضية واحدة هي قضية الانتماء و الانتساب إلى الأرض .

و سنركز في هذا الفصل على دراسة رواية "عائد إلى حيفا" للأديب غسان كنفاني ، ونحاول الوقوف عند جملة العناصر التي تبرز حقيقة الانتماء إلى فلسطين ،ولكن قبل ذلك رأينا أن نقف عند شخص غسان كنفاني و مراحل مسيرته الأدبية.

¹ -بشير إبريز: تعليمية النصوص بين النظرية و التطبيق ، عالم الكتب الحديث ،الأردن ، 2007، ط 1 ، ص 178 .

1- تعريف غسان كنفاني:

" ولد غسان كنفاني في عكا عام 1936م، عاش في يافا واضطر إلى النزوح عنها كما نزح آلاف الفلسطينيين بعد نكبة 1948م تحت ضغط القمع الصهيوني، حيث أقام مع ذويه لفترة قصيرة في جنوبي لبنان، ثم انتقل إلى دمشق.

عمل كنفاني منذ شبابه المبكر في النضال الوطني، وبدأ حياته العملية معلما للتربية الفنية في مدارس وكالة غوث للاجئين الفلسطينيين (الاونروا) في دمشق، ثم انتقل إلى الكويت عام 1956م، حيث عمل مدرسا للرسم والرياضة في مدارسها الرسمية، وكان في هذه الأثناء يعمل في الصحافة، كما بدأ إنتاجه الأدبي في الفترة نفسها.

انتقل إلى بيروت عام 1960م، حيث عمل محررا أدبيا لجريدة "الحرية" الأسبوعية، ثم أصبح عام 1963م رئيسا لتحرير جريدة "المحرر"، كما عمل في "الأنوار" و "الحوادث"، حتى عام 1969م حين أسس صحيفة "الهدف" الأسبوعية وبقي رئيسا لتحريرها حتى استشهاده في 8 تموز (يوليو) 1972م.

يمثل كنفاني نموذجا خاصا للكاتب السياسي والروائي والناقد، فكان ميعا في كتاباته، كما كان مبدعا في حياته ونضاله، واستشهاده وقد نال عام 1966م جائزة "أصدقاء الكتاب في لبنان" لأفضل رواية عن روايته "ما تبقى لكم"، كما نال جائزة¹

¹ينظر: رجال في الشمس، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، ط3

"منظمة الصحافيين العالمية (I.O.J) عام 1974م، ونال جائزة "اللوتس" التي يمنحها اتحاد كتاب آسيا وإفريقيا عام 1975م.

أما مؤلفاته فقد تنوعت بين الرواية والقصة والمسرحية فمن أهم رواياته نذكر: رجال في الشمس 1963م، ما تبقى لكم سنة 1966م، عائد إلى حيفا 1969م، أم سعد سنة 1979م، العاشق 1966م، الأعمى والأطرش، برقوق نيسان، وهذه الثلاثة الأخيرة هي روايات غير كاملة.

أما قصصه فنذكر: موت سرير رقم 12 1961م، أرض البرتقال الحزين 1962م، عالم ليس لنا 1965م، عن الرجال والبنادق 1968م، أما عن مسرحياته فنذكر منها: الباب 1964م، القبعة والنبي 1967م، جسر إلى الأبد 1965م¹.

¹ ينظر: رجال في الشمس، مؤسسة الأبحاث العربية ، بيروت، ط3

2- أهم المحطات الأدبية الكبرى لغسان كنفاني:

يتجسد مفهوم الإنتماء بمظاهر المشاركة الناتجة عن إحساس الفرد ووعيه بأن الآخرين يواكبونه فكريا، ويشاركونه آراءه في مختلف المجالات، والتخصصات وبعبارة أخرى فإن الإنسان في العصر الحديث أصبح ينظر إلى الإنتماء على أنه " اتجاه يستشعر من خلاله الفرد توحده بالجماعة وبكونه جزءا مقبولا منها ، ويستحوذ على مكانة متميزة في الوسط الإجتماعي الذي يعيش فيه"¹

وقد انعكست هذه الظاهرة على الأدب ، فغدا الإنتماء موضوعا بارزا فيه، شأنه شأن أوجه النشاط الإنساني ، حيث حاول أدباء القضية جميعهم رصد حركة المجتمع الفلسطيني " كل وفق رؤيته ومفهومه للقضية والمجتمع والعالم ، وتفاوت ذلك الرصد بين الكتاب وفقا لطبيعة النوع الأدبي المنتج ، ولكن الرواية كانت أنجح المقاربات الإجتماعية ، بوصفها عاملا إجتماعيا في طبيعتها الإبداعية ، وفي طبيعة تكوينها ونشأتها"².

فالمطلع على الأعمال الأدبية الفلسطينية لابد أن يعثر على ملامح الإنتماء وجذوره ، إذ كلما ازدادت التعقيدات السياسية والتحويلات الحضارية، انعكس ذلك على الإنسان ، وبالتالي على إبداعاته ، وعلى هذا الأساس فإن موضوع الإنتماء يعد واحد من أهم الموضوعات البارزة في إبداعاتهم الأدبية الشعرية منها والنثرية.

¹ - عبد الله محمد خليفة : مقياس الإغتراب ، دار غريب ، القاهرة ، 2006 ، ص 6 .

² - حسين سليمان : الطريق إلى النص : مقالات في الرواية الفلسطينية ، إتحاد كتاب العرب ، دمشق ، 1997 ، ص 53 .

ومن بين الأدباء الذين انعكست في كتاباتهم ظاهرة الإنتماء " غسان كنفاني " إذ لا يمكننا أن نتحدث عن رواية فلسطينية ، دون التحدث عن هذا المناضل والصحافي والروائي، ونسعى هنا إلى معاينة هذه الظاهرة في بعض أعماله النثرية منها رواية " رجال في الشمس " ، ورواية " أم سعد ".

كتب غسان " رجال في الشمس " عام 1963، تروي قصة ثلاثة فلسطينيين من

أجيال ثلاثة يحاولون العبور من العراق إلى الكويت ، وحين يختبئون في خزان العربة الضخم بالاتفاق مع صاحبها " أبو الخيزران " وفي قيظ الظهر ، حيث يتأخر السائق قليلا في حديثه مع حرس الحدود للتمويه تكون هذه الدقائق كافية للقضاء على الثلاثة " قيس ، أسعد ومروان ". مختقين جميعا في خزان و يصيح السائق " أبو الخيزران " بعد أن يلقى الجثث الثلاثة على رأس الطريق قائلا : " لماذا لم يدقوا جدران الخزان.... ؟ " ¹.

هذه الرواية تشير إلى أن الفلسطيني مهدد بالموت، فقد دفعه اليأس إلى الرحيل إلى بلد عربي من قطر عربي إلى قطر آخر بإعتبار أن " الإنتماء إلى الوطن العربي لا يلغي الإنتماء إلى القطر العربي ، لأن القطر جزء من الكل والكل يشمل الجزء ولا يلغيه، فالوحدوي يوالي قطره ، ويوالي أهل قطره " ². وقصة رجال في الشمس قصة شعب بأكمله

قاسى النذل والضياع والحرمان ، فكانت تعبيرا عن إرادة الفعل الفلسطيني إذ : " لم يدق

الشباب الثلاثة جدران الخزان ، لأن المأساة التي رسمها الكاتب لكل منهم ، والأشواق

¹ - غسان كنفاني : رجال في الشمس ، مؤسسة الأبحاث العربية ، بيروت ، 1983 ، ط 3 ، ص 19.

² - فاروق أحمد أسليم : الإنتماء في الشعر الجاهلي ، ص 19.

التي ملأ بها نفوسهم وروح المأساة المتمثلة فيهم جعلتهم إرادة مصممة أن تغلو على الحياة نفسها¹.

و ينكرس الإنتماء إلى البعد العربي عبر شخصية أبو الخيزران - البطل - رمز القيادة العربية والفلسطينية الفاشلة والمهزومة في زمن النكبة وما بعدها ، ولعل عجز هذه القيادات من الأسباب الرئيسية التي أدت إلى سقوط فلسطين وانهايار حكومتها وقد حاول غسان عن طريق الرمز أن يقول للفلسطيني " عليك أن تبقى في أرضك ، وأن تنتشبت بها برغم ضياع أشياء كثيرة (...) فخير لك أن تعيش في أرضك ، أو تضل على مقربة منها على الأقل ، ففي التجدر الحقيقي كنز الهوية ، والكيان والوجود الحقيقي"².

كما سعى غسان كنفاني أن يجري أحداث القصة بين بلد عربي أو بلدان عربية ليشير من خلالها إلى أن "التوجه العروبي لديه كان عاليا (...) والتحول من الاعتماد على الفرد إلى التوجه نحو الجماعة ، على أن يكون ذلك نتاج وعي جديد مؤداه أن الاعتماد على الذات يظل اعتماد على تقرير المصير ، بالإعتماد على السلاح لا الوعود والأحلام الرومنسية"³.

1 - عبد القادر القط : في الأدب العربي الحديث ، دار غريب ، القاهرة ، 2001 ، ص 198.
2 - محمد فؤاد سلطان : قصة رجال في الشمس - دراسة نقدية - ، مجلة جامعة الأقصى فلسطين ، 2007 ، مجلد 11 ، العدد 2 ، ص 18 .
3 - مصطفى عبد الغني : الاتجاه القومي في الرواية ، سلسلة كتب ثقافية ، المجلس الوطني للثقافة والآداب ، الكويت ، 1994 ، ص 182.

فهذه الرواية تنبه الفلسطيني إلى ضرورة اختيار القادة القادرين على تحرير الوطن الأم ، وألا يتيح الفرص للقيادات الفاشلة والعاجزة - كأبي الخيزران - .

تتكرر الصورة التي تؤكد الإحساس بالانتماء إلى وطن واحد في رواية " أم سعد " التي تناول فيها غسان كنفاني نموذج المرأة المناضلة في مخيم العربي حيث استطاع أن يضيف إلى شخصية الأم كثيرا ، إذ حولها في " أم سعد " من أم تضحى بابنها من أجل الدفاع عن فلسطين، إلى أم تحقق ذاتها وانتماءها إلى هذه الأرض الطيبة .

إن هذه التضحية هي ما دفع رفيق البحوري إلى إعطاء سمة الملحمية " لأم سعد " إذ قالت : " إن الشخصية الملحمية تنشأ من توازن التأثير المتبادل بين الجزء والكل ، وليس من التفكير في الذات المنعزلة (...) إن صورة أم سعد تختلف جوهريا عن صورة الأم المتألّمة التي تضحى بابنها ، لأن نضال سعد ليس تضحية بل تحقيقا لذاتها " ¹.

إن أم سعد مثلت رمز الأم العربية التي حملت هم المأساة وحاولت الدفاع عن القضية الفلسطينية وذلك بالولوج إلى العمل الثوري والرصاص لإثبات انتمائها إلى الأرض الفلسطينية ، فهي تمثل الرمز الجماعي لتحرير فلسطين العربية حيث وصفها غسان حين يقدم روايته " بأنها تدفع وتظل تدفع أكثر من الجميع " ²

¹ - رفيقة البحوري : الأدب الروائي عند غسان كنفاني ، دار التقدم ، تونس ، 1982 ، ط 1 ، ص 91 / 92 .
² - غسان كنفاني : أم سعد ، مؤسسة الأبحاث العربية ، بيروت ، 1969 ، ص 9 .

سعى غسان في روايته هذه تعميق موقفه إلى ضرورة تحقيق الوحدة الداخلية وذلك بالقضاء على الفوارق الطبقية ، التي تعرقل من حركة النضال والمقاومة فحين تذهب " أم سعد " لتنظيف أحد الأدراج ويتفق معها صاحب البناء على خمسة ليرات ، تجيء من تخبرها أنها هي امرأة بائسة أخرى، كانت تنظف الأدراج من قبل مقابل سبع ليرات حاول أن يقلل منها من جاء بها " أنا امرأة عندي أربعة أولاد ، وقالوا لي سبع ليرات كثيرا " ¹ . وهنا تصمت أم سعد لتقول : " وجعلوني أنا أقطع رزقك الله يقطع رزقك " ² .

فأم سعد تدرك بفطرتها العربية أن هناك مؤامرة لضرب العربي بالعربي ، تبدأ بمواقف مثل هذه وهي تشير إلى ذلك حين تقول " كلما أتذكر تلك القصة يهتز بدني كله ، وأكاد أبكي (...) إنني أصاب بالارتجاف حين أرى ذلك الناظر يتعقبي من قرية إلى قرية أخرى ، يريدون ضربنا ببعض نحن المشحرين كي يربحوا ليرتين " ³ .

لقد مثلت أم سعد صورة المرأة العربية المناضلة والمكافحة التي لا طالما قدمت ابنها كفدائي يدافع عن الأرض التي ينتمي إليها ، معتبرة أن الولوج إلى الفدائيين هو الحل للخروج من ضغط الإستعمار الصهيوني فأم سعد " من هؤلاء الأمهات العربيات اللاتي يحملن الهم الإجتماعي بالفطرة في نسيج تكوينهم العربي

1 - غسان كنفاني أم سعد ، ص 59.

2 - المرجع نفسه ، ص 60.

3 - المرجع نفسه ، ص 60.

فإنها ما تهجس بالقضية الاجتماعية (...) وتتدد بالخطر الداخلي الذي يهدد قوة الانتماء وتماسكه ، حين يصبح الفارق الطبقي معوقا لنيل الاستقلال الوطني"¹.
مما تقدم يلاحظ أن الرواية الفلسطينية حاولت ومازالت تحاول أن تطرح حالة رفض الواقع والتفوق والإنغلاق، وتؤكد الوجه النضالي المشرق لشعب فلسطين مصرة بذلك أن الوحدة العربية هي السبيل لتحديد فلسطين .
وبهذا يمكن القول أن الروايات الفلسطينية جزءا من الكتابات التي تستحق جدارة الإهتمام إلى أدب القضية المقاومة .

¹ - مصطفى عبد الغني : الاتجاه القومي في الرواية ، ص 195.

3- تلخيص رواية غسان كنفاني «عائد إلى حيفا»:

في عام 1996م صدرت رواية الكاتب غسان كنفاني «عائد إلى حيفا» وهي من حيث الرؤيا تطرح حوارا لا تقف مساحات حدوده عند ما جرى في زمن النكبة 1948م، فكل ما في ذلك الحدث يمتد نحو المستقبل الذي أصبح هو أيضا حقيقة تصارع من أجل هوية وتاريخ وحق في الانتماء لهذا المكان (فلسطين) الذي لم يعد في ظل الاحتلال الصهيوني الصورة تعبر عن زمنها المفروض ولون لغتها المغتصب.

تبدأ أحداث الرواية من لحظات عودة البطل (سعيد) وزوجته (صفية) إلى حيفا بعد سنوات من الخروج قصرا تحت نيران القصف المرعب للجيش الصهيوني، وتدمير المدينة وتهجير سكانها، غير أن هذه الأسرة وقف الرعب الممارس حائلا بينها وبين طفلها الصغير (خلدون) في تلك العاصفة، هذا الطفل عان من الرموز التي سقطت مثل المدينة في أيادي الصهاينة في ذلك اليوم من صباح الأربعاء 21 نيسان عام 1948م. العودة في ظل الاحتلال بحثا عن ذلك الطفل تجعل بطل الرواية سعيد يقف عاجزا أمام حقائق لا تتكرر، منها أن الزمن لا يقف عند لحظات الهزيمة ولا مسافات الانتصار لأن حالة متحركة، وتشتد الأمور في أبعادها عندما يصاحب هذا التحرك قوة الاغتصاب والقهر، هذا من جهة ومن جهة أخرى يعتبر سعيد منزله الذي أخرج منه بمثابة الماضي والمستقبل المسروق، فابنه خلدون أصبح جنديا في الجيش الصهيوني، واسمه "دوف" ابن

الأرض يقاتل مع محتل الأرض تلك هي صدمة التاريخ القائم يعني الحاضر المنكسر، إنها لحظات تظهر فيها بكل وضوح حقيقة جريمة الهروب وترك الحق، إنها فترة ضعف لا تجلب إلا الانكسارات وسرقة، أقوى سلاح من يد المظلوم، الانتماء إلى الأرض وليس من قادر على رد الحق الضائع غير الإنسان.

إن أول ما شاهده سعيد في ابنه خلدون بعد سنوات الغياب الطويلة هو هذا الشاب الطويل القامة في الزي العسكري الصهيوني وسط الأسرة اليهودية التي احتلت منزله وتبنت هذا الطفل الفلسطيني، انه لا يعتبر سعيد أباً له ولا صافية أما، ولم يعد بينه وبينهما من اتصال ولا رابطة الدم.

إن الطفل يعتبر صورة الماضي الذي لم يعد إلا قوة قهر، فهو لا يعرف من حياته غير أمه ميريام اليهودية، وهذه البزة العسكرية لجيش الاحتلال، فهو شاب يقاتل أعداء الدولة الصهيونية وهذا في نظره الواجب الوطني، أما كل ما هو عربي فهو عدو ولا لغة غير لغة السلاح والموت للتخاطب مع العرب، هكذا هو عقل دوف في الجيش المحتل وهذا إن دل على شيء فانه يدل على مقدرة الاحتلال في تغيير الملامح في شكل المكان وروح الإنسان، حيث أن صنعة الاحتلال ليست التدمير ومحو الذاكرة فحسب بل هي إعادة صياغة الوعي وهو الخطر الأكبر الذي يحذرنا منه غسان كنفاني في هذه الرواية الخالدة.

إن الكيان الصهيوني الذي اغتصب الأرض وقتل الإنسان كانت غايته الحقيقية هي استلاب روح الانتماء وسحق الهوية وطمس معالمها واستحداث صورة مغايرة لشكل المكان والإنسان.

ومن غريب الصدف في هذه الرواية هو ذلك التناقض الحاصل بين الشقيقتين خالد الذي تربى في كنف عائلته (سعيد، وصفية) وخلدون الذي ترعرع وسط عائلة يهودية فالأول منتمي إلى المقاومة ضد الاحتلال وان كان والده رافضا والثاني يقاتل مع الاحتلال، علاوة على ذلك فان الأب سعيد يرفض رفضا تاما حقيقة ابنه خلدون وحالته هذه فهو يفضل موته في ذلك الزمن على أن يكون يهوديا، فخلدون بالنسبة إلى سعيد مات وما هذا الشاب إلا طفل جاء مع زمن الاحتلال من أي بقعة من العالم ليصبح آلة قتل وتدمير في أيادي لا تخلق غير الفواجع.

عائد إلى حيفا رواية تخلد في ذاكرة الزمن مفارقة الهروب من الحصار والقتل للجسد ولكنها تدخلنا في تساؤلات حول مصير الهوية والكيان والتاريخ وحق العودة والانتساب إلى هذا المكان، حيث يظل الماضي من الحقائق التي لا تقهرها أصوات الجرائم ، و حرائق الحروب ، ومهما تصاعد دخانها فهو لا يحجب الفجر القادم.

4- تحليل الرواية:

أولاً: دراسة الشخصيات:

تشكل الشخصية عنصراً مركزياً من عناصر العمل الأدبي فهي " ركن أساسي من أركان الرواية، وهي العنصر الفاعل الذي يساهم في صنع الحدث، يؤثر فيه ويتأثر به ودون الشخصية العاقلة والمدركة يفقد الزمان والمكان معناهما وقيمتها"¹.

جرت العادة أنه في كل رواية شخصيات يجسدونه ويمثلونه ، فبالنسبة لشخصيات

هذه الرواية يمكن تقسيمها إلى قسمين شخصيات منتمية وشخصيات غير منتمية.

1-الشخصيات المنتمية: ويقصد بها الشخصيات التي تبدو عليها ملامح الانتماء

إلى قضية أو كيان ما وفي الرواية تشكل فلسطين قضية و مطرح للانتماء ومن خلال

قراءتنا لهذه الرواية ، اتضح لنا مجموعة من الشخصيات المنتمية وهي كالآتي:

أ - سعيد: هو بطل الرواية الذي يجسد حقيقة الانتماء إلى فلسطين ، هذا الرجل

الذي عان من قهر وبطش وقمع الإحتلال الصهيوني وقسوته ، حيث أخرج من أرضه

بفعل القوة كغيره من الفلسطينيين خلال حرب 1948م التي شنها الصهاينة اليهود ، فهو

لم يخرج من حيفا بمحض إرادته ولكنه أجبر على التخلي عنها وهجرتها فقد كان رافضاً

مغادرتها و متمسكاً بالعودة إليها ويتجلى هذا في قول الروائي " مثل من يسبح ضد سيل

¹ - يمنى العيد : تقنيات السرد الروائي، دار الفرابي، بيروت ، 1990م، ط1، ص 52، 51.

هادر ينحدر من جبل شديد العلو ، أخذ سعيد يشق طريقه بكتفيه وذراعيه وساقيه ورأسه يجره التيار خطوات إلى الوراء ، فيعود ويتقدم مندفعاً بشيء من الوحشية ¹. وما يزيد تأكيد انتماء سعيد إلى هذه الأرض " حيفا " هو أنه على الرغم من تخريبه عنها لم ينساها يوماً فبمجرد أن تم فتح بوابة مند لبوم على زيارة حيفا وهذا إن دل على شيء فإنه يدل على الارتباط القوي و الشديد بحيفا ، أضف إلى ذلك فسعيد كان - مثله مثل أي فلسطيني - يفتخر بانتمائه ويضحى من أجل وطنه كان شغله الشاغل هو الحديث عن القضية الفلسطينية في يومياته العادية ، في المقهى وفي الحافلات وفي الشوارع ذلك نتيجة الظروف القاسية التي يعانيتها الفلسطيني جراء الإحتلال وهذا ما يؤكد المقطع التالي من الرواية " طوال الطريق كان يتكلم ، ويتكلم، تحدث إلى زوجته عن كل شيء، عن الحرب وعن الهزيمة... وعن وقف إطلاق النار ، والراديو، ونهب الجنود للأشياء والأثاث ومنع التجول " ².

يمثل سعيد الحاضر بمتناقضات ، الحاضر الممزق بين الماضي والمستقبل ، فهو شخصية قلقة ممزقة بين ماضي يسعى للاسترجاع أرضه فيه وبين حاضر ليس له في شيء .

¹ - غسان كنفاني: عائد إلى حيفا، مؤسسة الأبحاث العربية، مؤسسة غسان كنفاني الثقافية، ص19.

² - الرواية : ص 10.

ب- صفية : زوجة سعيد وهي بطلة الرواية أيضا إلى جانبه ، هي الأخرى تجسد حقيقة الإنتماء إلى الأرض مثلها مثل سعيد تغربت عن مكانها ومقر سكنها ، عن جيرانها وأقاربها وأحبائها في حيفا ، فقد كانت تربطها صلة قوية بهذا المكان، لأنها تركت أعز ما تملك هناك ، تركت فلد كبدها وقرّة عينها ابنها الذي لم تتساه يوما تظل تبكي على فراقه وتتمنى لقياه ، لذلك فإنه بمجرد ما جاءت الفرصة لزيارة حيفا عازمت مع سعيد بالذهاب إليها عليها تحقق ما تتمناه من الله عزوجل وهو رؤية ابنها على قيد الحياة وهذا ما أشارت إليه الرواية الخالدة " إنهم يذهبون إلى كل مكان ألا نذهب إلى حيفا"¹ ، هذا المقطع يدل على الإرتباط الدائم بحق العودة والأرض تشد المنتمي .

إن غربة صفية يصنعها ألم الترحيل والتهجير قصرا ، وألم أم أجبرت على ترك صغيرها ورائها و صفية ماهي إلا صورة لأم فلسطينية ضحت في سبيل فلسطين.

إن أهم مقطع في هذه الرواية يؤكد حقيقة الإنتماء إلى الأرض هو ندم صفية وسعيد على رحيلهما من حيفا وخروجهما منها والذي يتجلى في قول غسان كنفاني " بلى ... كان علينا ألا نترك شيئا ، خلدون، والمنزل ، وحيفا، ألم ينتابك ذلك الشعور الرهيب الذي انتابني وأنا أسوق سيارتي في شوارع حيفا"². فصفية وسعيد تمنيا لو أنهما ضحيا بنفسهما

¹ - الرواية: ص23.

² - الرواية: ص49.

وبكل ما يملكان من قوة و صمود بدلا من المغادرة وترك أرضهم لليهود على طبق من ذهب.

ج- فارس اللبدة: فارس اللبدة رجل مسكون بالألم ، و مستعد للموت و الدليل على ذلك الطريقة التي عبر بها مع من يسكن منزله عن أحقيته لهذا البيت ،فهو مستعد للمواجهة في هذا الزمن بعد أن نجا من الموت زمن الترحيل "و أخيرا انفتح الباب و مد الرجل الطويل القامة ...إلا أن فارس تجاهل الراحة الممدودة ، و قال بالهدوء الذي يحمل الهدوء الذي يحمل كل معنى الغضب : جئت ألقى نظرة على بيتي ،هذا المكان الذي تسكنه هو بيتي أنا ، و وجودك فيه مهزلة محزنة ستنتهي ذات يوم بقوة السلاح ،تستطيع أن تطلق علي الرصاص هذه اللحظة ، و لكنه بيتي ، و قد انتظرت عشرين سنة لأعود عليه..و إذا...".¹

يرى فارس اللبدة أن الموت في فلسطين هو أفضل من الحياة خارجها و هذا ما يدل عليه موقفه بعد إعادته لصورة أخيه إلى ساكن منزله "و حمل فارس الصورة معه إلى السيارة ،و عاد إلى رام الله و كان طوال الطريق ينظر إليها متكئة إلى جانبه على المقعد.....و صار على الطريق المتجه نحو رام الله ، و عندها فقط انتابه شعور مفاجئ بأنه لا يملك الحق في الاحتفاظ بتلك الصورة ،ولم يستطع أن يفسر الأمر لنفسه إلا أنه

¹ - الرواية: ص 51

طلب من السائق العودة إلى يافا ، ووصلها في الصباح ، سعد السلم مرة أخرى
 بخطى بطيئة و قرع الباب و قال له و هو يتناول الصورة منه : شعرت بفراغ مروع ¹
 إن الزمن و البعد و الفراق لا ينهي الانتماء إلى الأرض ، كما أن الموتى من حقهم
 الانتماء أيضا .

د- بدر اللبدة : اخو فارس اللبدة ، وبدر يمثل قمة الانتماء إلى الأرض أو الوطن
 ذلك لأنه سبيل وطنه ضحى بنفسه و قدم أكبر هدية للوطن و أكثر شيء يمكن لأي أحد
 أن يفتخر به و هو الاستشهاد من أجل الوطن ، فالتضحية دفاعا عن الوطن تعتبر من
 أعظم و أسمى المظاهر الدالة على الانتماء إلى الأرض ، ليس هذا فحسب بل إن بدر
 ضحى بنفسه و استشهد قبل احتلال الصهاينة لفلسطين ، أي عندما احتلت فلسطين من قبل
 الإنجليز جاء في الرواية "أما الآن فقد تغير كل شيء و انخرط بدر في القتال كأنه كان
 ينتظر ذلك اليوم منذ طفولته ... فقد جيء ببدر إلى الدار محمولا على أكتاف رفاقه
 كان مسدسه مازال في وسطه و شيعت العجمي جثمان بدر".²

ومنذ ذلك الحين صار بدر يضربه المثل في الشجاعة و القوة و الإخلاص و الفناء
 للوطن .ومن الشخصيات التي تجسد الانتماء أيضا خالد ابن سعيد و صفية هذا الشاب

¹ - الرواية: ص 57.

² - الرواية: ص 53.

الذي ولد في رام الله و الذي يحلم بالالتحاق بصفوف المقاومة الفلسطينية ،فهو يمثل الأمل لفلسطين نتيجة إيمانه بالمستقبل و لا يحفل بالماضي لأن لا سبيل إلى التغيير . و إذا نظرنا إلى أسماء أبناء سعيد و صفة نلاحظ أنها تدل على الخلود للوطن و تعزيز الانتماء إليه و أن فلسطين ستبقى خالدة ،بالرغم مما يمارس في حقها من جرائم . هذا بالنسبة إلى الشخصيات المنتمية أما الشخصيات اللا منتمية فتجسدها الشخصيات التالية :

أ-إيفرات كوشن :والد دوف بالتبني ، وهو رجل جاء من بولونيا إلى حيفا "لقد وصل إيفرات كوشن إلى حيفا برعاية الوكالة اليهودية " ¹ و هذا إن دل على شيء فإنه يدل على أن ارتباط اليهود بفلسطين ليس قديما بل حديث مفتعل بسبب الإستيطان بإيفرات كوشن طرد من بولونيا بأمر من النازية الألمانية برعاية هيتلر .

إن علاقة اللا إنتماء عند اليهودي أول دليل يثبت بأنهم لا ينتمون إلى ذلك المكان بل إنهم جاؤوا من أماكن و بلدان مختلفة و فلسطين ليست بلادهم الحقيقية إذن إيفرات يجسد حقيقة اللاإنتماء إلى فلسطين فوجوده بها هو وجود تحركه المصلحة ، بعد أن فقد ما يملك العذاب الذي مورس عليه في بولونيا.

ب- ميريام: والدة دوف بالتبني وهي زوجة إيفرات كوشن ، والتي جاءت معه من

بولونيا بسبب تهجير النازية لهم إلى حيفا ، وشخصية ميريام فرق ما بين كونها يهودية

¹ - الرواية: ص37.

وصهيونية، فاليهودية تمثل اعتناق الديانة اليهودية والصهيونية الذي لديه رغبة في الإستلاء على أرض فلسطين وهم جمعية نشأت من وعد بلفور القائم على مبدأ أن فلسطين وطن بلا شعب ،و ميريام لا تحركها السياسة الصهيونية وإنما اليهودية، ويتجلى ذلك في كون أن ميريام لم تتشأ أن تسكن في مكان ليس لها و حبتت العودة إلى بلاده وموطنها " وحين عاد إيفرات كوشن مع ميريام إلى نزل المهاجرين كانت ميريام قد قررت العودة إلى إيطاليا " ¹.

إن ما يؤكد أن ميريام لا تربطها أي علاقة انتماء بفلسطين هو أنه بالرغم من تربيتها للولد الذي وجدته في بيت سعيد وصفية في حيفا إلا أنها اعترفت له أنها ليست أمه و أنه ليس ولدها وما يدل على أن ميريام و إيفرات كوشن لا ينتميان إلى فلسطين و أنه سيأتي يوم و يرحلان فيه ، هو قولها لسعيد لقد كنت بانتظاركم وإبقائها للبيت كما هو ، فيغير و يعدل بالمكان من يريد الإستقرارية و يشعر بانتمائه إليه لكن ميريام أبقت على كل صغيرة في هذا البيت و كأنها مستعدة للمغادرة في أي لحظة ،أضف إلى ذلك قدرة الله عز و جل التي تجلت في عدم إنجابهما أولادا في هذه الأرض ذلك لأن الأبناء هم استمرار للأباء ، ويقابلهما على الضد تماما صفية و سعيد الذين وهبهما الله تعالى أولادا في حيفا "خلدون" و في رام الله "خالد و خالدة" ،و هذا دليل على أن الولد هو رمز للاستمرارية بالأرض أو الوطن .

¹ - الرواية:ص43

هناك تناقض في شخصية ميريام ، فهي ممزقة بين البقاء في فلسطين و العودة إلى بولونيا ،بين إحساسها بالظلم الذي فرض عليها و الظلم الذي تفرضه هي على فلسطين . فهذه هي بعض الشخصيات التي تجسد اللاإنتماء لفلسطين.

تبقى لنا شخصية خلدون أو دوف ، خلدون بالنسبة إلى والديه الحقيقيين سعيد و صفية و دوف بالنسبة إلى ميريام و إيفرات كوشن فميريام هي التي ربته ونشأته بعد وفاة إيفرات حتى أصبح شابا في العشرين من عمره ، هذه الشخصية التي يمكن أن نطلق عليها هوية جديدة أو هوية مكتسبة لم تعترف لا بصفية أما ولا بسعيد أبا ، فهو لا يعرف من حياته غير أمه ميريام اليهودية ، فهي الوسط الذي عاش فيه ، هوية اكتسبت بفعل التنشئة والمناخ الذي تربى فيه وتعد الشخصية العقدة ، فهو حامل لهوية مركبة البعد التاريخي الموروث (فلسطين) ، والبعد المكتسب (إسرائيلي).

وما يزيد على أن خلدون أصبح يهوديا- بمعنى الكلمة - هو أنه صار عسكريا يقاتل في صفوف الجيش الصهيوني ضد العرب .

إن خلدون أو دوف يلوم صفية وسعيد على رحيلهما وتركهما له في ذلك المكان وهو لا يزال طفلا رضيعا في شهره الخامس ، بل كان لابد أن يدافعا عن انتمائهما وهويتها جاء في الرواية " كان عليكم ألا تخرجوا من حيفا ، وإذا لم يكن ذلك ممكنا فقد كان عليكم بأي ثمن ألا تتركوا طفلا رضيعا في السرير ... أتقولون أن ذلك كان مستحيلا

لقد مضت عشرون سنة يا سيدي... لو كنت مكانك لحملت السلاح من أجل هذا

.... لا تقل لي أنكم أمضيتم عشرون سنة تبكون!¹

لقد أيقن سعيد أنه من المستحيل استرجاع خلدون معلنا هزيمته في تسوية الأمر

لأن استعادته مرتبطة باستعادة الوطن وكل ذلك يحتاج إلى معركة وحرب أخرى.

من خلال ما سبق نستنتج أن الهوية هي ما يكتسبه الإنسان وليس ما يرثه .

¹ - الرواية : ص71.

ثانياً: دراسة الفضاء المكاني:

يخضع الفضاء الروائي لإستراتيجية تعمق دوره كبنية دالة تتحاور مع باقي البنيات في المستوى الدلالي والجمالي ، وحديثنا عن الفضاء مرتبط بنمو الأحداث وتطورها ، وبوجود شخصيات تسيره وفقاً لقناعاتها المتباينة .

تمثل مدينة " حيفا " الفضاء الأكثر بروزاً فحضورها يبدأ من العنوان الذي يشكل في حد ذاته بنية من بنيات الرواية ، حيث أستهل الكاتب روايته بدخول " سعيد " إلى أرض الوطن واصفاً لنا حزن المدينة ، حيث صورها لنا البطل وكأنها شخص يبكي بصمت لفراق الأحبة وهجران الأهل وبذلك أنها صفة التواصل معها ، يقول الراوي " حين وصل " سعيد س " إلى مشارف حيفا قادماً إليها بسيارته عن طريق القدس (...) ودون أن ينظر إليها كان يعرف أنها آخذة بالبكاء"¹ .

فحيفا هي نقطة الإرتكاز المكاني داخل الرواية ، بإعتبارها المكان المركز فمنها كان الخروج وإليها جاءت العودة ، منها أنطلق التهجير وإليها قصد الإستيطان . إن إستخدام سعيد الأسماء العربية في تسمية المدن الفلسطينية بدلاً من الأسماء التي أطلقها اليهود عليها ، دليل على تمسكه بانتمائه العربي الفلسطيني فهو على دراية أن تغيير أسماء الأماكن ، يعني تغيير لهوية هذه الأماكن.

¹ - غسان كنفاني : رواية عائد إلى حيفا ، ص 9 .

إن بكاء المدينة الذي تبعه بكاء صفية " الزوجة " يوحى بإزدواجية الإنتماء ، فالمكان يبكي الفرد ، والفرد يبكي المكان ، فعلاقة الانتماء مشتركة بين الشخص ووطنه " إن صفية زوجته تحس الشيء ذاته ، وأنها لذلك تبكي " ¹.

وثمة أمر جدير بالملاحظة هو حضور المكان في عناوين الروايات الفلسطينية ، كما يتجلى لنا في العنوان الذي حدده غسان لروايته " عائد إلى حيفا " وفيه دعوة إلى الالتزام بالمكان الذي شكل إيقاع مميز في الرواية ، حيث سعى سعيد - بطل الرواية - إلى استعادة كل الذكريات التي تحقق وتؤكد انتماءه إلى حيفا ، فطوال الطريق كان حديثه حول قضية واحدة شغلت باله كما شغلت بال كل فلسطيني بل كل عربي ، إنها هذه الأرض المقدسة التي سلبت من أيديهم وقدمت على طبق من ذهب لسلطات الاستعمارية الصهيونية ، والتي حاولت وبكامل قواها سلب روح المكان قبل المكان نفسه من نفس الفلسطينيين " طوال الطريق كان يتكلم ويتكلم يتحدث إلى زوجته عن كل شيء ، عن الحرب ، عن الهزيمة ، وعن بوابة مند لبوم ، التي هدمتها الجررات ، وعن العدو الذي وصل إلى النهر ، والقناة ومشارف دمشق خلال ساعات ، وعن وقف إطلاق النار ، والراديو ، ونهب الجنود للأشياء والأثاث ، ومنع التجول " ².

¹ - الرواية ، ص 9

² - الرواية ، ص 10.

لقد كانت بوابة مند لبوم في يوم من الأيام ملكا للفلسطينيين ، وقد رمز الكاتب لهذا المكان لتعبير عن علاقته وأصالته بنسبة للشعب الفلسطيني ، ولكنها سلبت منه وأصبحت ملكا لليهود يدخل من يشاء ويخرج من يشاء ، فبالرغم من عمليات خنق التجمعات الحاملة للهوية باعتبارها قضية ، وفتح قنوات التهميش والتهجير ، إلا أن سعيد بقي مرتبطا بالماضي والتاريخ ، كما بقية المكان يسكنه على الرغم من التغيرات التي لحقت به ، فالارتباط بالتاريخ والمكان تأكيد على الأصالة والانتماء يقول الراوي " عبر المرج الذي كان اسمه برج بن عامر قبل عشرين سنة ، وتتسلق الطريق الساحلي نحو مدخل حيفا الجنوبي ، وحين عبر الشارع ودخل إلى الطريق الرئيسي انهار الجدار كله (...) ووجد نفسه يقول لزوجته هذه هي حيفا يا صافية"¹

افتقد الفلسطيني المكان الأصلي لكنه بقي متصلا به من خلال روحه وذاكراته ، فسعيد ما زلت نفسه تعيش لحظات حرب 1948، ذلك اليوم المشؤوم الذي طرد فيه الفلسطينيون من أراضيهم إلى أراضي غريبة أشعرتهم بالضياح والحرمان ، فسعيد يطرح سؤال يحيره كيف يخرجوننا من ديارنا ثم يسمحون لنا بالعودة إليها ؟ .

¹ - الرواية ، ص 10

هذه العودة التي أصبح فيها سعيد مجرد ضيف أو زائر ، فوجوده في هذا المكان مرتبط بمدة زمنية محددة ، لكن هذا كله كما يرى سعيد ما هو إلا " جزء من حرب " ¹ إن المكان في الضمير الجمعي الفلسطيني مرتبط بالمضامين التي تخلدها الذاكرة ، باعتبارها المحافظ على المكان والتاريخ ، هذان القطبان اللذان لا يحققان وجودهما إلا إذا كنا شهودا عليهما ،لهذا نجد أن المكان لم يغيب في نفس سعيد، فه لم يجد صعوبة في تذكر كل الأماكن لأنها تسكن بداخله " و أخذت الأسماء تنهال في رأسه كما لو أنها تتفض عنها طبقة كثيفة من الغبار ،وادي التنسناس، شارع الملك فيصل ،الحليصة ،الهادار" ² فتذكره لكل هذه القرى والشوارع دلالة على أنه لم يتغير أي شيء ،فالصهيوني لم يستطع القيام بالتغيير والتبديل لعلمه أنه مجرد دخيل لا ينتمي إلى هذه الأرض الطيبة ،وليس له الحق فيها "لم يتغير شيء ،كان بوسعنا أن نجعلها أحسن بكثير ."³ وهذا الشعور طبيعي لأنها لنا،فالإنسان المنتمي إلى وطنه يسعى دائما إلى تطويره وبناء مرافقه على عكس اللامنتمي الذي تبقى هناك دائما هوة بينه وبين المكان

لقد إستطاع سعيد أن يصف لنا المكان بشيء من الدقة ،حيث صورها لنا حتى و كأننا نراها ،و نعرف ما يجاورها من شوارع وأحياء كما يقول الراوي"كان ينعطف بسيارته

¹ - الرواية ، ص 11

² - الرواية ، ص 13

³ الرواية،ص12

عند نهاية شارع الملك فيصل (فالشوارع بالنسبة له لم تغير أسماءها بعد) متجها نحو

التقاطع الذي ينزل يسارا إلى الميناء".¹

إن كلام سعيد عن الشارع والميناء ما هو إلا تعبير عن وفائه للأرض التي كان يسكنها ، فخرطة الأماكن مازالت مرسومة في ذهنه ولا يمكن لأحد محوها أو اقتلاعها ، لان حياة المكان تسكن داخل الفلسطيني .

كما أن التهجير لم ينسي سعيد وطنه فالماضي مازال يسيطر عليه ، كيف ينسى ذلك التاريخ المشؤوم " كانت السماء نارا تتدفق بأصوات رصاص وقنابل وقصف بعيد وقريب ، وكأنما هذه الأصوات نفسها كانت تدفعهم نحو الميناء "² . فعلاقة سعيد بذاكرة والتاريخ قوية ومتينة حبه لوطنه لم ينسه الماضي الضائع وبقي يسكنه بالرغم من مرور عشرين سنة فهو يعيد الحدث وكأنه يعيشه مرة أخرى ، سنوات من التشتت والحرمان سببها هذا الميناء الذي غادر منه مكرها كبقية الفلسطينيين ودخل عن طريقه الصهاينة فعاد للمزج بين ذاكرتين ، خروج أبناء الوطن الأصليين ، واستقبال الدخلاء الذين لا يحق لهم الإلتواء إلى هذه الأرض وهذه السماء .

إن ما يؤرق سعيد هو استيلاء العدو الاستعماري على المكان ومحاولة محو هوية

سكانه وقضائه على طموح وأحلام شعبه ، سعيد كان يريد البقاء في حيفا ، رفض

المغادرة وتمسك بالعودة من اجل بلده ، عكس القارب الذي كان مصمم على الفراق " مثل

¹ الرواية ،ص14

² - الرواية ، ص 18.

من يسبح ضد سيل هادر ينحدر من جبل شديد العلو ، أخذ سعيد يشق طريقه بكتفيه وذراعيه وساقيه ورأسه ، يجره التيار خطوات إلى الوراء ، فيعود ويتقدم متدفقا بشيء من الوحشية مثل حيوان طريد يشق طريقا مستحيلا في دغل كثيف متشابك " ¹ .

لقد حافظ سعيد على كل هذه الذكريات ، لان الذاكرة هي الشاهد الحي على جريمة اقتلاع الشعب الفلسطيني من أرضه ، فضياع الذاكرة تضييع للتاريخ وللمكان وللوطن ، لذلك نجد غسان كنفاني قد تعمد ربط الذاكرة بالمكان لتأكيد الحفاظ على الماضي باعتباره سلاح الشعب الفلسطيني لدفاع عن قضيته وبلاده ، فغياب ذاكرة الوطن وذاكرة المكان تقضي إلى محو القضية برمتها .

لقد كان الحنين للمنزل الأول كبير لدى سعيد وصفية ، فالذين رأوا فلسطين وعاشوها لم يستطيعوا أن يخرجوها منهم ، فكانوا كسلاحفة التي تحمل بيتها معها أينما تسير " فجأة اطل المنزل ، المنزل ذاته ذلك الذي عاش فيه ، ثم عيشه في ذاكرته طويلا ، وها هو الآن يطل بمقدمة شرفاته المطلية باللون الأصفر " ² .

أن المنزل لم يتغير فلسطين بقيت كما تركها الزوجان منذ عشرين سنة ، لم يقم العدو بأي تبديل لغياب الصلة التي تربطه بهذه الأرض ، على الرغم من أنها أصبحت ملكا لهم .

¹ - الرواية ، ص 19.

² - الرواية ، ص 28.

إن علاقة سعيد بالمكان علاقة جوهرية ، لا تكمن أهميتها في الاسم فقط فهو يتذكر كل الأحداث التي جرت بالتفصيل ، فالأماكن تتهاطل في ذاكرته كما لو انه لم يرحل عنها أبدا ، فتذكره العفوي هذا يؤكد أصالة انتماءه إلى المكان ، في المقابل نجد علاقة الإسرائيليين بالمكان علاقة سطحية ، فهو لا يملك ذاكرة ولا تاريخ تذكره بقيمة هذه الأماكن ، يردد أسماءها نتيجة التكرار اليومي لا حسب " إفرات يعرف على وجه التحديد مواقع هذه الأماكن التي حفظ أسماءها من فرط التكرار"¹ ، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على غياب الانتماء إلى هذه الأماكن لدى الإسرائيليين .

إن ارتباط اليهود بالمكان الفلسطيني ليس قديم بل حديث مفتعل ، بسبب الإستيطان حيث " وصل إفرات كوشن إلى حيفا برعاية الوكالة اليهودية قادما مع زوجته من ميناء ميلانو الايطالي في وقت مبكر من شهر آذار ، كان قد غادر وارسو مع قافلة صغيرة في أوائل تشرين الثاني من عام 1947 ، واسكن في منزل مؤقت يقع في ضواحي ذلك المرفأ الايطالي"².

إن شعور الإسرائيليين بلا انتماء إلى الأرض المقدسة ، جعلت الكثير منهم يفكر بالعودة من حيث جاءوا ، فهذه مريام زوجة افرات كوشن رفضت البقاء " حين عاد افرات كوشن مع مريام إلى نزل المهاجرين كانت مريام قد قررت العودة إلى ايطاليا

¹ - الرواية ، ص 40 / 41 .

² - الرواية ، ص 37 / 38 .

ولكنها لم تفلح طوال تلك الليلة ، ولا في الأيام القليلة التي أعقبت ذلك اليوم ، في إقناع زوجها بذلك ¹ ، فالشخصية الصهيونية تتصف بإحساس حاد بالعزلة ، وعزروا هذا الإحساس حتى أصبح بالنسبة لهم حقيقة نفسية ، فمريام على يقين إن هذه الأرض ليس لليهود ، فهم لم يولدوا فيها ولا يتحدثوا لغتها بل إنها أرض للفلسطينيين ، لان التاريخ شاهد على انتماءهم إلى هذا الوطن .

إن اهتمام غسان كنفاني في روايته هذه باستعادة صورة الوطن المسلوب تجسدت من خلال تجربة سعيد في المنفى ، بما تعنيه من تهجير شعب وقيام دولة مستعمرة على أشلائه ، جعلت الخطاب الروائي برمته يقوم على الإحساس المؤلم بفقدان المكان ، من خلال قول الراوي على لسان سعيد عندما أحس بلا انتماء إلى المكان الذي عاش فيه أحلى أيامه " كنت اشعر أنني اعرفها وأنها تتكرني ، وجاءني الشعور ذاته وأنا في البيت ، هنا هذا بيتنا هل تتصورين ذلك ؟ انه ينكرنا ! ألا ينتابك هذا الشعور " ² .

إن حب الوطن والإيمان المطلق بحق الشعوب المضطهدة في الانتماء إلى الأرض الفلسطينية هذا ما دفع سعيد بممارسة نشاطه السياسي إزاء قضيته الوطنية عن طريق الحوار وتبادل المعلومات كما يتجلى في النص الروائي بين سعيد وصفية في سؤالها عن

1 - الرواية ، ص 43.

2 - الرواية ، ص 49.

حقيقة ومفهوم الوطن "سال نفسه فجأة : ماهو الوطن ؟ (...). كانت صفة تنظر إليه قلقة

(...) وعندها فقط خطر له أن يشاركها في الأمر فسألها ، ما هو الوطن اهو هذان

المقعدان اللذان ظلا في هذه الغرفة عشرين سنة ؟ الطاولة ؟ ريش الطاووس ؟ صورة

القدس على الجدار ؟ (...) ما هو الوطن ؟ خلدون ؟ أوهامنا عنه ؟ الأبوة ؟ البنوة ؟ ما

هو الوطن ؟ (...) أنني أسأل فقط"¹ .

أمام فشل سعيد في استرجاع ما هو مفقود قرر قطع صلته بالماضي الأليم ، والتطلع

إلى المستقبل الذي يرى فيه الملاذ لمواساة نفسه وتحقيق أماله ، لهذا فقد أصبح يرى أن

فلسطين "أكثر من ذاكرة ، أكثر من ريشة طاووس ، أكثر من ولد"² .

وما يمكن جمعه من التحليل السابق هو أن مفهوم الفضاء لدى سعيد ، ينهض على

أساس التناقض بين ما كان ، وما هو كائن ، أي بين حلم الوطن ، وحقيقة المنفى ، فسعيد

علل حبه لأرضه وأبناء وطنه بالذاكرة المتوارثة .

¹ - الرواية ، ص 70 .

² - الرواية ، ص 74 .

ثالثاً: الفضاء الزمني

يعد الزمن أحد المفاهيم الفلسفية التي أولاها كثير من الفلاسفة، و المفكرين و النقاد اهتماماً خاصاً، قصد الكشف عن كنه هذه الظاهرة التي لا لون لها ولا شكل.

فبعد دراستنا للشخصيات و المكان في هذه الرواية سنحاول الآن معاينة تجلي البعد الزمني في هذه الرواية التي جعلناها مدار تحليلنا في هذا البحث.

1- الزمن الماضي:

تصور لنا " عائد إلى حيفا" حكاية أبوين أرهقهما الماضي التعيس الذي تركاه

وراءهما ، لكنهما لا يزالان مرتبطين به ، رغم الجروح التي تكبدهما ، إنها ما زلا منتميان إلى حيفا رغم السنين الطويلة منذ تلك النكبة التي جردتهما من الحياة ، من البيت الذي كانا يعيشان فيه ، من حيفا . و لكن رغم ذلك فهما ما زالا مرتبطين بماضيهما و بأصالتهما و بحيفا. و لعل ذلك ما جسده غسان الكنفاني في هذه الرواية يقول : « ظهر يوم الثلاثين من حزيران 1948، كانت سيارة " الفيات " الرمادية التي تحمل رقماً أردنياً أبيض نحو الشمال ... قبل عشرين سنة .»¹

بعد دراستنا للشخصيات و السكان في هذه الرواية بالتحليل و التمهيص ، سنحاول الآن معاينة تجلي البعد الزمني في هذه الرواية التي جعلناها مدار تحليلنا في هذا البحث .

¹الرواية، ص 10.

سعيد و صفية يعيشان في معاناة و آلام ترسبت في أعماقهما، فلم يجدا ملاذا يرجعان إليه، سوى ذكريات محفورة في الذاكرة نقشتها السنين الطويلة على مدار عشرين سنة. و تتكرر الصورة التي تؤكد الارتباط بالماضي من خلال قول الروائي « و فجأة جاء الماضي حاد مثل سكين »¹

فالزمن من الماضي يسيطر على ذاكرة سعيد، فهو يعيش معه في كل لقمة أكلها و في كل كوخ عاش فيه، إنه ماض حاد مثل سكين ، ماض سعيد هو ماض مؤلم ، و فعل الاستلاب هو الذي أثر في نفسه ، استلاب كل شيء يملكه أرضه و موطنه و ابنه . إن الماضي بالنسبة لسعيد يمثل حملا و عبئا ثقيلا على عاتق سعيد ، إنه ماض ترك وراءه طفلا بريئا صغيرا « و عندها فقط تذكر خلدون الصغير ، ابنه الذي أتم في ذلك اليوم بالذات شهره الخامس ... وانتابه فجأة قلق غامض ... حتى في هذه اللحظات التي تبعد عشرين سنة عن المرة الأولى التي حدث فيها ذلك.»²

2- الزمن الحاضر:

الحاضر يمثل الانكسار و الاضطراب بالنسبة لصفية و سعيد، فالحاضر ما هو إلا أصل و انتماء مع الطرف الآخر (العدو)، إنه الماضي و الحاضر المسروق، ذلك ما

¹ الرواية، ص 14.

² الرواية، ص 17.

يجده سعيد في منزله الذي أخرج منه ، ابنه خلدون أصبح جنديا في الجيش الصهيوني و اسمه دوف ، ابن الأرض يقاتل مع محتل الأرض ، تلك هي صدمة التاريخ القائم و الحاضر المنكسر .

إن الزمن يتقلص لدى سعيد بمجرد العودة إلى حيفا ، إنها عشرون سنة و هو يريد العودة إلى حيفا، غير أنه كل مدة كان مترددا ، فهو يعرف أن ابنه دوف أصبح يهوديا . كان قبل أسبوع يؤكد لزوجته أن العودة مستحيلة ، غير أنه في مجرد أسبوع وجد نفسه في حيفا «لقد تضاءلت العشرون سنة من الغياب ، وها هي الأمور تعود فجأة عودة لا تصدق»¹

إن الحاضر يمثل عودة سعيد إلى حيفا ، ابنه بمجرد دخوله إلى مشارفها كانت السماء غاضبة على الوضعية التي آلت إليها فلسطين ، بفعل الصهاينة الذين دمروها ، و لم يتركوا فيها أي شيء ، فقد أصبحت هباء منثورا، إن السماء تعبر عن غضب الله سبحانه وتعالى على معصية البشر، يقول الروائي: « تماما كما كان الإسفلت يشتعل تحت عجلات سيارته، وفوقه كانت الشمس، شمس حزيران الرهيب تصب قار غضبها على الأرض.»²

¹ غسان كنفاني: عائد إلى حيفا، ص 23.

² الرواية، ص 10.

إن الحاضر بالنسبة لصفية وسعيد هو زمن الضياع والاضطراب والتشتت الناتج عن الاستقطاب الذي يعيشانه بين قطبين "دوف" الماضي الثقيل، و"خالد" المستقبل، ففي لحظة واحدة عرف سعيد بأنه يقف كعائق في سبيل حرية فلسطين نتيجة تمسكه بالماضي الذي ضاع وشوه، وتضييعه للمستقبل الذي يمثل الأمل في الانعتاق. سعيد أهدر عشرون سنة للبحث عن طفل تحول إلى عدو، وأهدر الحاضر في صد الطفل الثاني في سبيل المقاومة.

3- الزمن المستقبل :

أمام هزيمة سعيد بمواجهة دوف ، و بمواجهة القناعات الجديدة ، لم يجد ما يدافع به عن نفسه سوى اللجوء إلى ابنه " خالد " هذا الابن الذي لم يشأ سعيد أن يتركه يلتحق بصفوف الفدائيين قبل الذهاب إلى حيفا ومقابلة خلدون ، فخلدون قلب الموازين ، و أصبح الشيء المرفوض من قبل مستحب اليوم لدى سعيد .

إن المستقبل الآن – بالنسبة لصفية و سعيد – يصبح ابنهما خالد، هذا الطفل الذي لطالما أراد دائها أن يلتحق بصفوف المقاومة لتحرير الوطن ، إنه يمثل روح الإنشاء ، فقد فضل التضحية و الموت في سبيل تخليص فلسطين من أيادي الصهاينة

يبقى مكتوف الأيدي منتظرا الفرج من بديل ، فالوطن بالنسبة لخالد هو المستقبل »

أما خالد فالوطن عنده هو المستقبل ... وهكذا أراد خالد أن يحمل السلاح.¹

إن المستقبل يمثل تخلي صفية و سعيد عم انتمائهما إلى الماضي ، الذي يمثل خلدون

إن خلدون أصبح الآن دوف، لقد أصبح عارا، بل تشبثا بالمستقبل الذي يمثله خالد ، فهو

شرفهما و انتماؤهما الباقي و المستمر «إن دوف هو عارنا، ولكن خالد هو شرفنا»²

من خلال ما سبق نستنتج أن الزمن الماضي في هذه الرواية. يمثل خلدون، وهو

الثقل، والحاضر هو اضطراب بالنسبة لصفية وسعيد، أما المستقبل فهو الأمل الذي يجسده

خالد.

¹الرواية، ص 75.

²الرواية، ص 75.

رابعاً: الأشياء:

تعتبر الأشياء أيضاً من العناصر المهمة التي تؤكد قوة الانتماء والارتباط إلى الأرض الفلسطينية في هذه الرواية التي جعلناها محط اهتمامنا و تحليلنا .
 فبدخول سعيد إلى حيفا والانتقال فيها شارعاً شارعاً، وقرية قرية، ، لاحظ أنه لم يتغير أي شيء فيها، حيث بقيت كما هي، ولعل هذا ما يؤكد اللانتماء اليهودي إلى فلسطين .

والغريب في الأمر أن الأشياء هي الأخرى لم تتغير فبمجرد وصول سعيد إلى منزله

القديم في الحليصة ، اندهش واستغرب لبقاء كل شيء على حاله، « الدرج... إنزارة

الجرس، ولا قطة الباب النحاسية ، خربشات أقلام الرصاص على الحائط ، صندوق

الكهرباء ، الدرج الرابع المكسور من وسطها.»¹

كل هذه الأشياء الصغيرة هي الأخرى لم تتغير على الرغم من مرور عشرون سنة،

وهذا دليل أن اليهودي لم يصف أي شيء بل أنقص وعند دخول سعيد إلى المنزل أخذ

يتأمل فيه بلهفة و شوق ووجده كذلك على حاله، فالديكور بقي عربي قديم لم يتغير.

¹ الرواية، ص 29.

إن مريم اليهودية لم تستطع تبديل أي شيء، ففي قرارة نفسها كانت تعلم بأنها لا تنتمي إلى هذا المكان. «صورة القدس بتذكرها جيدا، ما تزال معلقة، حيث كانت... وعلى الجدار المقابل سجادة شامية صغيرة كانت هناك أيضا»¹

إن تذكر سعيد لكل هذه التفاصيل ما هو إلا تعبير عن قوة ارتباطه بهذا المكان - واصل سعيد تأمله المنزل ، وحين صار في غرفة الجلوس رأى أن كل شيء بقي على ما كان عليه، والذي لم يتغير نقص « فقد استطاع أن يرى أن مقعدين من أصل خمسة مقاعد هما من الطقم الذي كان له أما المقاعد الثلاثة الأخرى فقد كانت جديدة»²

ومن الأشياء التي لم تتغير أيضا، الطاولة، فقد بقيت نفسها، أما ريشات الطاووس فقد نقص عددها من سبعة إلى خمسة، فسعيد لم ير أي زيادة بل رأى نقصان ، و هذا دليل على أن اليهودي غير منتمي .

أما الشيء الأهم الذي يؤكد الانتماء في الرواية هي صورة « بدر اللبدة » فالصورة للبقاء و الانتماء ورمز الفلسطينيين فبجرد أن انتزعت الصورة من المكان الذي كانت موجودة فيه، منذ عشرين سنة أصبح ذلك المكان لا معنى له، بل يشبه فراغا مغلقا، و يقول في ذلك الراوي معبرا عن شعور الرجل الذي سكن دار فارس اللبدة، حين تخلى عن الصورة « شعرت بفراغ مروع حيث نظرت إلى ذلك المستطيل الذي خلفته على

¹الرواية، ص 31.

²الرواية ص 31.

الحائط، وقد بكيت زوجتي بذهول أدهشني، لقد ندمت لأنني سمحت لك بارتداد

الصورة، ففي نهاية المطاف هذا الرجل لنا نحن¹»

فالصورة هي رمز من رموز الوطن وهي الرافد الوحيد الذي يربط الأفراد به،

فالموتى من حقهم أيضا الانتماء إلى هذه الأرض، فغسان كنفاني هنا يرى أن الأشياء

أيضا من حقها البقاء في فلسطين بل هي التي تحفظ للفلسطيني انتماءه لهذه الأرض. من

خلال ما تقدم نستج أن الأشياء بالنسبة لسعيد هي الأخرى تعبر عن الانتساب و الانتماء

إلى الموطن و لأرض.

من خلال دراستنا لرواية غسان كنفاني « عائد إلى حيف » و من خلال تحليلنا

للشخصيات المجسدة في الرواية، وكذا الفضاء والمكان والزمان والأشياء، تؤكد لنا مدى

ارتباط الإنسان العربي الفلسطيني بوطنه، فقد احتفظت هذه الرواية بصورة الأرض في

ذاكرة الإنسان الفلسطيني، حيث سجل انتسابه إلى فلسطين بالشواهد التاريخية كدليل على

حقه في الانتماء، فالانتماء مرتبط بالهوية التي يراها البعض ماضيا والبعض الآخر

مستقبلا، لكن تبقى جملة سمات و خصائص تصنع انتماء الإنسان إلى جماعة أو وطن ما.

¹الرواية، ص 57.

خاتمة

خاتمة

بحثنا هذا حول الانتماء في الرواية الفلسطينية، دراسة نظرية تطبيقية، نظرية من حيث الخوض والتوسع في المفاهيم، وتطبيقه من حيث تناولنا للجانب التحليلي والوصفي للرواية. ولسنا ندعي أن موضوعنا جديد من حيث تناوله لفلسطين، ففلسطين كانت دائما محل دراسات كثيرة ومتعددة.

لقد توصلنا في هذا البحث المتواضع إلى أن الأدب الفلسطيني يعتبر من الأجناس الأدبية التي صورت الواقع الفلسطيني، سواء في فلسطين أو في مناطق أخرى من الشتات، كما أن هذا الأدب مرّ بجملة من المراحل، وفي كل مرحلة كان الأديب هو لسان حال الشعب الفلسطيني إذ لاحظنا مدى ارتباط والتزام الأدباء بقضيتهم الأولى، معبرين عن آمال وأحلام الشعب في الحرية والاستقلال.

كما توصلنا في هذا البحث أن الانتماء سمة إنسانية، يسعى الإنسان إلى تحقيقها لتأكيد هويته ووجوده بانتسابه إلى وطن يعنيه. كما أن الانتماء يختلف من فرد إلى آخر بحسب الظروف الاجتماعية المحيطة بها، وهو بالنسبة لأي شعب كان وما زال يعتبر من أهم ما يؤكد وجوده وأحقيقته في الأرض، وهذا ما جسده الروائي الفلسطيني غسان كنفاني في الكثير من محطات مسيرته الأدبية والتي من بينها رواية "عائد إلى حيفا" والتي تعتبر شكل من أشكال المقاومة، والتي عبرت أيضا عن الروح والذات الفلسطينية من أجل التصدي للاحتلال.

وفي الأخير نرجو أن نكون قد وفقنا في هذا البحث المتواضع والله ولي التوفيق.

وآخر دعوانا أن: الحمد لله رب العالمين.

مطالعه و مراجع

قائمة المصادر والمراجع

قرآن كريم.

1/ المصادر:

1/ غسان كنفاني: عائد إلى حيفا، مؤسسة الأبحاث العربية، مؤسسة غسان كنفاني الثقافية.

2/ المراجع:

1/ إبراهيم خليل: مدخل لدراسة الشعر العربي الجديد، دار الميسرة، الأردن، 2010م، ط3.

2/ البرغوثي عبد اللطيف: ديوان الانتفاضة الشعبية، دن، 1997م، ط1.

3/ بشير ابرير: تعليمية النصوص بين النظرية والتطبيق، عالم الكتب الحديث، الأردن، 2007م، ط1.

4/ حسين سليمان: الطريق إلى النص، مقالات في الرواية الفلسطينية، اتحاد كتاب العرب، سوريا، 1997م، د.ط.

5/ جروة علاوة وهبي: التجريب في القصيدة العربية، دار البعث، الجزائر، 1984م، ط1.

6/ رشاد عبد الله الشامي: إشكالية الهوية في إسرائيل، عالم المعرفة للثقافة والآداب، الكويت، 1997م، (د.ط.).

7/ رفيقة البحوري: الأدب الروائي عند غسان كنفاني، دار التقدم، تونس، 1982م، ط1.

8/ ركيبي جمال الدين: أزمة الخليج، جذورها التاريخية ووقائعها الحالية، دار الهدى الجزائر، 1991م، (د.ط.).

9/ شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي - العصر الجاهلي، دار المعارف، مصر، 2003م، ط24.

10/ عبد اللطيف محمد خليفة: مقياس الاغتراب، دار غريب، مصر، 2006م، (د.ط.).

11/ عبد الوهاب الكيالي: الموسوعة السياسية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، لبنان، 1991م، ط3.

12/ علي حمدان: إشكالية الهوية والانتماء، المركز الاستراتيجي العربي للدراسات العربية، سيدني، 2005م، ط1.

13/ غسان كنفاني: الأدب الفلسطيني المقام تحت الاحتلال: 1948م-1968م، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، لبنان، 1968م، ط2.

14/ غسان كنفاني: رواية أم سعد، مؤسسة الأبحاث العربية، لبنان، 1983م، ط3.

15/ غسان كنفاني: رجال في الشمس، مؤسسة الأبحاث العربية، لبنان، 1983م، ط3.

16/ فاروق أحمد أسليم: الانتماء في الشعر الجاهلي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1998م، (د.ط.).

17/ محسن محمد صالح: الحقائق الأربعة في القضية الفلسطينية، مركز الإعلام الفلسطيني، نوفمبر 2003، ط1.

18/ محسن محمد صالح: المقاومة المسلحة ضد المشروع الصهيوني في فلسطين، مركز الإعلام الفلسطيني 1920م، 2001م، ط1.

19/ محمد حمدان: أدب النكبة في التراث العربي، من منشورات اتحاد الكتاب العرب، سوريا، 2003م، (د.ط.).

20/ مصطفى السيوفي: تاريخ الأدب العربي الحديث، الدار الدولية للاستثمارات الثقافية، لبنان، 2008م، ط1.

21/ مصطفى عبد الغني: الاتجاه القومي في الرواية، عالم المعرفة للثقافة والآداب، الكويت، 1994م، (د.ط.).

22/ مفيد محمد قميحة: الاتجاه الإنساني في الشعر العربي المعاصر، دار الآفاق الجديدة، لبنان، 1981م، (د.ط.).

23/ نجلاء عبد الحميد راتب: الانتماء الاجتماعي للشباب المصري، دراسة سوسيولوجية في حقبة الانفتاح، مركز المحروسة للنشر، القاهرة، 1999م، (د.ط.).

24/ يمنى العيد: تقنيات السرد الروائي، دار الفارابي، لبنان، 1990م، ط1.

3/ المعاجم والقواميس:

1/ ابن منظور: لسان العرب (ت ح)، خالد رشيد القاضي، الدار البيضاء، لبنان، 2006م.

2/ أحمد زكي بدوي: معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، مكتبة لبنان، 1978م، ط1.

4/ المجلات والدوريات:

1/ محمد فؤاد السلطان: رجال في الشمس، دراسة نقدية، مجلة جامعة الأقصى، فلسطين، 2007م، المجلد 11، العدد 2.

2/ أبو عيسى حجير: قوة الانتماء الوطني الفلسطيني، مخطوطة.

3/ بشير بن فهد البشر: حقيقة الانتماء، مخطوطة.

4/ صابر أحمد عبد الباقي: مفهوم الانتماء، كلية الآداب جامعة ألمانيا.

5/ محمد عبد الغني حسن هلال: الولاء والانتماء، مخطوطة.

6/ سيرين سعدي جبر: الانتفاضة في الأدب الشعبي الفلسطيني في شمال فلسطين (مذكرة

لنيل شهادة الماجستير).

5/ المواقع الالكترونية:

1/ www. Designed by joom LART. Com

2/ www. Mv 20v. Com. forum/shouthread

3/ www. Palestine. Info. Info.

فهرس

فهرس

٧ مقدمة.

٧ مدخل: الأدب العربي الفلسطيني. النشأة والتطور.

٧ تمهيد..... 2

1- تعريف الأدب العربي الفلسطيني..... 3

2- مراحل تطور الأدب العربي الفلسطيني

أ- الأدب الفلسطيني قبل 1948 م..... 5/4

ب- أدب النكبة الفلسطينية 1948 م..... 7/5

ج- أدب النكسة الفلسطينية 1967 م..... 10/8

د- الانتفاضة في الأدب الفلسطينية 1987 م..... 11/10

3- أهم قضايا الأدب الفلسطيني.

أ- الالتزام بالقضية الوطنية..... 12

ب- الالتزام بالقضية الاجتماعية..... 13

ج- الالتزام بالبعد العربي..... 14

د- الالتزام بالبعد العالمي..... 15/14

٧ الفصل الأول: الانتماء المفهوم والماهية

٧ تمهيد..... 17

1- مفهوم الانتماء لغة واصطلاحاً.....20/18

2- مفهوم الانتماء في العلوم الإنسانية الأخرى.

أ- علم الاجتماع.....22/21

ب- علم النفس.....23/22

ج- الفلسفة.....25/24

3- عناصر الانتماء.

أ- الانتماء والأسرة.....26

ب- الانتماء والمجتمع.....27

ج- الانتماء والمواطنة.....28

4- مظاهر الانتماء.

أ- الاعتزاز بالرموز الوطنية.....29

ب- التمسك بالعادات والتقاليد.....29

ج- التضحية دفاعاً عن الوطن.....31/30

الفصل الثاني: صورة الانتماء في رواية «عائد إلى حيفا».

✓ تمهيد.....33

1- التعريف بالكاتب.....35/34

2- أهم محطاته الأدبية.....42/36

3- تلخيص الرواية.....45/43

4- تحليل الرواية:

- أ- دراسة الشخصيات.....54/46
- ب- دراسة الفضاء المكاني.....63/55
- ج- دراسة الفضاء الزمني.....68/64
- د- دراسة الأشياء.....71/69
- ✓ خاتمة.....73/72
- ✓ قائمة المصادر والمراجع.....77/74
- ✓ فهرس.....80/78